مجلة المحترف لعلوم الرياضة و العلوم الانسانية و الاجتماعية

المجلد (13) العدد (03) السنة (2026)
الصفحة 405-426

الهوية وصراع ثنائية الفراغ والشباب: مقاربة سوسيو–نفسية

Identity and the Leisure–Youth Duality conflict: A Socio-Psychological Approach

وافد شهاب كيدج[1*]، سفيان ميمون[2]

[1]المخبر المتعدد التخصصات في العلوم الإنسانية والاجتماعية التطبيقية من أجل التنمية– LPSHSAD

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة (جيجل) 18000، جيجل الجزائر،

chihab.kidjouafed@univ_jijel.dz

[2]جامعة محمد الصديق بن يحي (جيجل)، s.mimoune@univ-jijel.dz

معلومات البحث

تاريخ الاستلام: 2026/01/28
تاريخ القبول:2026/06/30

Printed ISSN: 2352-989X
Online ISSN: 2602-6856

الملخص: يهدف هذا البحث النظري، لمعالجة ثنائية الفراغ والشباب بوصفها إشكالية سوسيونفسية مركبة، نشأت نتيجة الفصل التاريخي بين علم اجتماع الشباب وعلم اجتماع الفراغ، حيث يبرز محدودية المقاربات السوسيولوجية والنفسية الأحادية الاتجاه، في تفسير العلاقة بين المتغيرين، ويقترح علم النفس الاجتماعي كإطار جامع يدمج العوامل الفردية والاجتماعية يُعتمد عليه. كما يناقش البحث مفهوم الثنائيات والتوترات التي تنشأ بينها، خاصة ثنائية الفرد والمجتمع، بوصفها مدخلًا لفهم أدوار وقت الفراغ في بناء الهوية أو إنتاج الاغتراب لدى الشباب. ويحلل المقال الفراغ كزمن اجتماعي خاضع لمنطق السوق والسلطة، مع إبراز تأثير التمثلات الاجتماعية، في سياقات مجتمعية متباينة. ويخلص إلى أن فهم مشكلات الشباب المرتبطة بوقت الفراغ، تستلزم مقاربة تكاملية متعددة الاختصاصات، وهذا ما يمنحه علم النفس الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: الشباب، وقت الفراغ، علم النفس الاجتماعي، الثنائيات، الزمن الاجتماعي

ABSTRACT: THIS THEORETICAL PAPER ADDRESSES THE DICHOTOMY BETWEEN LEISURE AND YOUTH AS A COMPLEX SOCIO-PSYCHOLOGICAL ISSUE, WHICH HAS EMERGED DUE TO THE HISTORICAL SEPARATION BETWEEN THE SOCIOLOGY OF YOUTH AND THE SOCIOLOGY OF LEISURE. IT HIGHLIGHTS THE LIMITATIONS OF ONE-DIMENSIONAL SOCIOLOGICAL AND PSYCHOLOGICAL APPROACHES IN EXPLAINING THE RELATIONSHIP BETWEEN THESE TWO VARIABLES, AND PROPOSES SOCIAL PSYCHOLOGY AS A COMPREHENSIVE FRAMEWORK THAT INTEGRATES BOTH INDIVIDUAL AND SOCIAL FACTORS. THE PAPER ALSO EXAMINES THE CONCEPT OF DICHOTOMIES—AND THE TENSIONS THAT ARISE FROM THEM, MOST NOTABLY THE INDIVIDUAL-SOCIETY DICHOTOMY—AS A LENS FOR UNDERSTANDING THE ROLE OF LEISURE TIME IN THE CONSTRUCTION OF IDENTITY OR THE GENERATION OF ALIENATION AMONG YOUTH. FURTHERMORE, IT ANALYZES LEISURE AS A "SOCIAL TIME" SUBJECT TO THE LOGIC OF THE MARKET AND POWER, WHILE EMPHASIZING THE INFLUENCE OF SOCIAL REPRESENTATIONS WITHIN DIVERSE SOCIETAL CONTEXTS. THE PAPER CONCLUDES THAT UNDERSTANDING THE CHALLENGES YOUTH FACE IN RELATION TO LEISURE TIME REQUIRES AN INTEGRATIVE, MULTIDISCIPLINARY APPROACH—A PERSPECTIVE THAT SOCIAL PSYCHOLOGY PROVIDES.

KEYWORDS: YOUTH, LEISURE TIME, SOCIAL PSYCHOLOGY, DICHOTOMIES, SOCIAL TIME

* المؤلف المرسل

1. مقدمة:

إن وقت الفراغ مع الشباب يُشكِّلان ثنائية سوسيولوجية بامتياز، كونهما مفهومان وموضوعان هامَّان وفرعان علميان لهذا العلم؛ "علم اجتماع الشباب" الذي ينسب البعض بداياته إلى دوركايم في عمله المعروف بـ " سوسيولوجيا التربية–1922" (Galland, 2022, pp. 42-43). و"علم اجتماع الفراغ" الذي ترجع بداياته إلى سنة (1899) مع عالم الاجتماع الأمريكي، ثورنستن فبلن – Thorstein Veblen (Raymond Boudon, 2005, pp. 135-136).

مع ذلك فإن الأدبيات الكلاسيكية للعلوم الاجتماعية لم تَرْبِطُ هذين المُتغيرين ببعضهما البعض، فعلم اجتماع الشباب ربط مفهوم الشباب في البداية بالتنشئة الاجتماعية، ثم ربطه "بالسِّن الاجتماعي" أي بالمعنى الذي يعطيه مجتمع ما وفق سياقات اجتماعية وثقافية، لمرحلة عُمُرية معينة (طفل، شاب، كهل، شيخ). ثم انتقل التركيز بعد ذلك على ربط المفهوم بظاهرة "جنوح الأحداث" كنتيجة لهذا المعنى الاجتماعي، وبالتالي أصبحت الدراسات بخصوص هذه الظاهرة هي الغالبة آنذاك (Galland, 2022, pp. 43-44).

أمَّا علم اجتماع الفراغ، فارتبط في البداية بعالم الشغل حسب مقاربة التطور التاريخي "للزمن الاجتماعي" للعمل، والتحولات الكبرى التي أحدثتها الثورة الصناعية وما تبعها من مفاهيم مُتَعَلِّقة بالأوقات الاجتماعية: (وقت العبادة، وقت النوم، ووقت التواصل العائلي...)، حيث ظهر مفهوم "الوقت الحر" الذي يُعَبِّر عن الوقت الخارج عن أوقات العمل. وارتبط وقت الفراغ في دراسات تلك الفترة بمفهومي "الاسترجاع" و"الراحة" وما يُرادِفُهُما من أنشطة حُرَّة يقوم بها الفرد خارج أوقات عمله. ثُمَّ انتقلت الدراسات إلى اعتباره "وقت ترفيه" وربطته بمُتغيّر العمل وكل المتغيرات المُتَّصِلَة بالإنسان والمجتمع وطبقاته (Pronovost, 2014).

إننا نتساءل كيف أن كِلا المفهومين "الشباب" و"الفراغ" كموضوعين لعلمين فرعيين من علم الاجتماع، لم يكونا موضوع دراسات تجمعهما وتربط بينهما كمتغيرين معا؟ هل يرجع ذلك إلى كون مُتغير الشباب غلبت عليه الدراسات النفسية والتربوية؟ علما أن السوسيولوجيين كانوا يَتَعَمَّدُون اجتناب كل ما يتعلق بعلم النفس أو يرتبط به من قريب أو بعيد، اقتداءا بدوركايم ونظرته الكُلِّيَانِيَة في تفسير الظواهر الاجتماعية، (UNIVERSALIS, 2025) ما جعل من علم النفس الاجتماعي يظهر كعلم جامع بين علمي النفس والاجتماع؛ حيث يتطرق لمتغيري الشباب والفراغ من زوايا مختلفة، تجمع بين العوامل المؤثرة الفردية (السيكولوجية والبيولوجية)، والعوامل المؤثرة الجماعية (الاجتماعية والثقافية والسياسية) (Naich, 2022, pp. 191-192). ما دعانا لتوجيه بحثنا نحو هذا الاختصاص ومحاولة البحث عن الرابط الذي يجمع بين متغيري "الشباب" و"الفراغ" فيه. وذلك انطلاقا من الأدبيات التي اشتغلت على هذا الموضوع، أين وجدنا على حدِّ اطلاعنا، بأنها في شقها الكلاسيكي، قد ربطت الفراغ بمتغيري "العمل– Le travail" و"الراشدين– Adultes" من جانب علم الاجتماع. وأما الأدبيات الحديثة ربطت الفراغ، بمتغيرات عديدة تكاد تُعَبِّر مُعظمها عن الأزمات والصراعات السوسيونفسية أو الثقافية للشباب من وجهة نظر كل من علم الاجتماع، علم النفس وعلم النفس الاجتماعي. وِفْق ثنائية مُتعارضة الحَدَّيْن، يرى علم النفس الاجتماعي، أن الفراغ ذو حدٍّ إيجابي (نشط)، وحدٍّ سلبي (خامل)؛ الأول يُشير إلى النشاطات التي ترجع على الأفراد بالفائدة، مثل الأنشطة الرياضية والثقافية والعِلمية. أما الثاني فيشير إلى العكس، مثل مشاهدة التلفزة وألعاب الفيديو، وتصفح المواقع الالكترونية، والتي قد ترجع عليهم بالسلب على صحتهم الجسدية والذهنية (Baumeister, 2023, p. 7). هذا الطرح المزدوج لعلم النفس الاجتماعي، هو ما أدار وجهة بحثنا هذا نحو تبني المقاربات السوسيو نفسية لفهم وتحليل مشكلات الشباب الرئيسة في استغلال وقت الفراغ.

2. إشكالية الدراسة:

يشكّل الفراغ أحد أكثر المتغيرات إثارة للجدل في تحليل أوضاع الشباب المعاصر في العلوم الاجتماعية، كونه يحمل علاقة متناقضة بين أبعاد تتراوح بين بناء الهوية والاندماج الاجتماعي وإثبات الذات من جهة، وإنتاج الاغتراب والتهميش من جهة أخرى. عِلماً أنّ دراسة هذه العلاقة، أي بين الشباب والفراغ وما يُنتجه هذا الأخير من تناقضات ظلّت تاريخيًا، حبيسة الفصل المعرفي بين علم اجتماع الشباب

وعلم اجتماع الفراغ، حيث ضلت الثنائية الشباب والفراغ محل صراع معرفي، وهو ما أنتج مقاربات جزئية عجزت عن الإحاطة بالطابع المركّب لهذه الثنائية. ففي حين ركّزت المقاربات السوسيولوجية الكُلّيانية على البُنى والمؤسسات الاجتماعية، انصرفت المقاربات النفسية إلى الأبعاد الفردية والذاتية، وكلا الاتجاهين لم يلتفت لبناء جسر تحليلي يربط بينهما.

انطلاقًا من هذا الإشكال، يسعى هذا البحث النظري إلى معالجة ثنائية الفراغ والشباب على أنَّها مشكلة سوسيونفسية مركبة، باقتراح علم النفس الاجتماعي كإطار تحليلي جامع كونُهُ يُدمج العوامل الفردية والاجتماعية معًا. إنَّ البحث ينطلق من فرضية مفادها أنّ فهم دور الفراغ في حياة الشباب حسب علم النفس الاجتماعي، يقتضي مِنَّا تفكيك الثنائيات الكبرى، وعلى رأسها ثنائية الفرد والمجتمع، باعتبارها مدخلًا أساسا في فهم الصراع القائم بين ثنائية الشباب ووقت الفراغ انطلاقا من ارتباط هذا الصراع بتشكيل الهوية وعوامل الاغتراب لدى فئة الشباب، كل ذلك داخل "الزمن الاجتماعي" المعاصر.

ونظرا لِمُتَطَلَّبات موضوعية ومنهجية، سنُضَيّق دائرة البحث والدراسة، وسنتطرق لمفهومين "الفراغ" و"الشباب" من خلال أدبيات العلوم النفسية والاجتماعية التي ربطتهما ببعضهما. وانطلاقا من هذا المَوْقِف سنحاول معرفة مشكلات هذه الثنائية في هذه الأدبيات، من حيث هي ثنائية تجسد الصراع و/أو التكامل بين الفرد والمجتمع، على اعتبار أن الفرد يقابل الشاب، أي "الشباب" كَمُكَوِّن لظاهرة اجتماعية، والمجتمع يقابل "نشاط الفراغ" من باب مفهوم "الزمن الاجتماعي"؛ هذا كُلُّهُ انطلاقا من المقاربة المنهجية "التناظرية" "Analogique"، حيث سنقوم بإسقاط الصراع و/أو التكامل القائمين بين ثنائية الفرد والمجتمع حسب أدبيات العلوم الاجتماعية، على ثنائية الشباب والفراغ في علم النفس الاجتماعي. وهي مقاربة منهجية قام بها دوركايم عندما أسَّسَ للمنهج العلمي الذي مَكَّنَه من دراسة علم الاجتماع، حيث أسقط منهج العلوم الطبيعة على علم الاجتماع (Boyer, 2016). وعليه، يطرح البحث السؤال الرئيس الآتي: كيف يُسهم الفراغ، بوصفه زمنًا اجتماعيًا، في تشكيل الهوية أو إنتاج الاغتراب لدى الشباب في أدبيات علم النفس الاجتماعي؟

3. مفاهيم الدراسة والزمن الاجتماعي كمفهوم رئيس لتفاعل الأنشطة المجتمعية:

ارتأينا في هذه الدراسة، أن نتطرق بالإضافة للمفاهيم الرئيسة "الشباب"، "الفراغ" و"الهوية"، إلى مفهوم "الزمن الاجتماعي" الذي في نظرنا مفهوم أساس يربط بين هذه المفاهيم. فهو كما سنرى، المفهوم الذي يُعطي للفراغ وزنه وقيمته الاجتماعية، كما أنَّه يُعطي للشباب معناه ومكانته في المجتمع عبر المعايير التي يعتمدها والتي تُبَيّن النشاط الاجتماعي المهيمن والسائد في المجتمع، والذي سَيُحَدِّد مِنْ خلال التَمَثُّلات الاجتماعية والجماعية كمعيار من بين هذه المعايير، هوية ومكانة الشباب في المجتمع.

1.3. الفراغ (الوقت الحر):

من المهم التمييز بين "وقت الفراغ أو الوقت الحر temps libre" باللغة الفرنسية، "free time" باللغة الإنجليزية "ووقت الاستجمام أو الترفيه loisir" باللغة الفرنسية، " leisure " باللغة الإنجليزية "؛ لأن وقت الاستجمام، يشير إلى الفترة الزمنية المخصصة لأنشطة ذات طابع طوعي للمتعة والترفيه؛ بينما وقت الفراغ مخصص لأنشطة لا تُعتبر ذات أهمية للحياة اليومية، أي يمكن الاستغناء عنها (Pronovost, 2014). ويُفسَّر "وقت الفراغ" كذلك وِفق مقاربة موضوعية وأُخرى ذاتية، تُشير الأولى إلى الوقت الذي يُقضى بعيدًا عن الواجبات المُلزمة، بينما الثانية تُشير إلى "حالة ذهنية"، يكون عليها الانسان مع نفسه (Feric, 2022). وهذا ما يطرح إشكالية تحديد ما نقصد به بوقت الفراغ، فهل نقصد به ذلك الوقت الذي يكون خارج أوقات العمل المُلْزِم (Roult, 2018)، ونكون فيه معفيين من أيّ التزامات؟ فإذا كان كذلك، فماذا نقصد بالوقت الحر؟ وماذا نقصد بوقت الترفيه؟ وما هو الفرق بينهما؟

إنَّ دراسة مسألة وقت الفراغ في خمسينيات القرن الماضي، ارتبطت بعالم الشغل، وكان ذلك عن طريق عالم الاجتماع جوفر دومازدييه- Joffre Dumazedier من خلال تحقيقات أجراها حول تمثلات العمال للأنشطة الترفيهية. والتي نُشِرت في كتاب سنة 1962. فعرَّف الفراغ على أنَّه الوقت الحر الذي لا يقتصر على الوقت المخصص للعمل فقط، بل ينقسم إلى وقت مُقَيَّد ووقت مُخْتار: فالوقت المُقيد يُستنفَد في تلبية حاجيات الحياة اليومية (التسوّق، التنظيف، قضاء المعاملات الإدارية...)؛ أما الوقت المُختار، فهو الوقت الذي يقع خارج نطاق

العمل، ونطاق الوقت المُقيَّد، أيْنَ يمكن للفرد الانخراط بحرية في أنشطته الترفيهية والاستمتاع بها. إذن فحسب هذا التقسيم فإن الوقت أو الزمن، ينقسم إلى ثلاث أوقات هي وقت العمل، والوقت الحُرُّ المُقيَّد، والوقت الحُرُّ الحقيقي (Bourgatte, 2022).

لقد قسّم دومازدييه الوقت الحر من حيث الأنشطة إلى خمسة أنشطة هي:

– أولاً: الأنشطة اليدوية النفعية: التي نقوم بها لكن يمكن أن نستغني عنها، كأعمال الصيانة اليدوية بالبيت، أو البستنة...إلخ، فهي نفعية من حيث أنها تُلبي حاجاتنا الاقتصادية. وأعطى لمن يقوم بها هوية سَمَّاها " homo faber– الإنسان الصانع ".

– ثانيا: اللعب والألعاب: واعتبرها دومازدييه علامة على تطور البشرية بحيث أنها لَمْ تُصبح علامة مسجلة أو حصرية من عالم الطفولة، فاللعب أصبح من متطلبات الثقافة الشعبية، يشترك فيه الكبار كما الصغار، وهوية اللاعب هنا سمَّاها " homo ludens – الإنسان اللاَّعب".

– ثالثًا: الأنشطة الثقافية: وهي الأنشطة التي ترتبط بالتثقيف وتهذيب الذوق الجمالي والفكري، كقراءة القصص، والذهاب إلى المسرح والسينما، لأنها تسمح للأفراد بالإسقاط والتماثل مع الأبطال مع الشخصيات التي يُريدون أن يتماهوا بها، الهوية هنا، سَمَّاها " الإنسان الوهمي أو الافتراضي– homo imaginarius[1] ".

– رابعا: الأنشطة التعليمية التدريبية: وهي الأنشطة التي منها يتعلم الفرد ويكتسب خبرات ومعلومات عن طريق وسائل الاعلام المختلفة (المكتوبة والمسموعة والمرئية). الهوية هنا، سمَّاها " الإنسان العاقل– homo sapiens".

– خامسا: الأنشطة الاجتماعية: وهي الأنشطة التي يسعى الفرد من خلالها على التواصل مع الآخرين، وإقامة علاقات ومعارف وإجراء نقاشات حول الشؤون الترفيهية المتعلقة بأوقات الفراغ وما الجديد والمفيد حولها، في سبيل تحسين وقت فراغه. الهوية هنا، سمَّاها " الإنسان الاجتماعي – homo socius" (Bourgatte, 2022).

ينطلق دومازدييه في أفكاره من مقاربة متعددة الاختصاصات (multidisciplinaires)، فهو يرى بأنَّ، الأبحاثٌ الطبيّة–الاجتماعية التي تُنجَز حول العلاقة بين إيقاع العمل وإيقاع أوقات الفراغ، ستتطلّب على نحوٍ متزايد، تعاونًا وثيقًا بين علم نفس العمل وعلم النفس الاجتماعي للترفيه (الفراغ) (Dumazedier, 1962, p. 28) .

2.3. الشباب:

الشباب مرحلة من مراحل الحياة تقع عادةً بين الطفولة وسن الرشد. وحسب ضوابط الأمم المتحدة التي تضبط المدى الزمني لهذه المرحلة، يمكن القول إنّها تنحصر بين 15 و24 سنة (ONU, 2025)، فالشباب ليس ظاهرةً بيولوجية فحسب، فهو أيضًا ظاهرة نفسية واجتماعية وثقافية، أي هو بناءٌ اجتماعي يتحدّد وفق الحقبة التاريخية ووفق المجتمع الذي ينتمي إليه. لهذا يجب النظر إلى الشباب من منظور علاقته بالمجتمع الذي يعيش فيه. كما أنّ مرحلة الشباب بيولوجيا تبدأُ مع البلوغ، وتنتهي اجتماعيا مع تحقيق الاستقلال الاقتصادي وتكوين أسرة (الزواج).

حاليًا، يمكن تحديد فئة الشباب ضمن الفئة العمرية الممتدّة من 15 إلى 29 سنة. وقد تطول إلى 35 سنة في المتوسط العالمي، وقد تذهب إلى أكثر من ذلك في بعض البلدان إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الجوانب الاجتماعية والاقتصادية العالمية لوضعية الشباب، بما في ذلك مسألة السكن الذي لا يتحقق من دونه مبدأ الاستقلالية كأحد مبادئ الانتقال من مرحلة الشباب إلى مرحلة الراشدين. نُلاحظ هنا الطابع المُتغير لمفهوم الشباب من حيث تحديد فترته الزمنية، فهو يتغيّر مع مرور الزمن، ووفقًا لطبيعة المجتمع الاقتصادية والثقافية (Recours, 2012, pp. 19,21,22) ، والسياسية أيضا. وهذا ما ذهب إليه بورديو لما قال جملته الشهيرة "La « Jeunesse » n'est qu'un mot" " الشباب ما هي إلاَّ كلمة" (ترجمة حرَّة)، لقد كان يَقْصِدُ بها: أنَّها كلمة تحتمل العديد من التفسيرات التي يُعطيها لها السياسيون وفق ما يخدم مصالحهم الأيديولوجية والسُّلطوية. فَتَارةً هي مُرادف للعُنْف، وتارةً أخرى هي مرادف لِلاَّمَسؤولية، لذا إذا أراد الحاكم الاستمرار في الحكم، فما عليه إلاَّ أن يُمدِّدَ "فترة الشباب" من خلال تحديد مفهوم الشباب، ونعت كل من يُهدِّدُه في حُكمه، بأنَّهُ "لا يزال شابا"، لأنها عبارة مرادفة للطيش واللاَّمسؤولية، وأمَّا الراشدون، أي "الحاكم" فيُمَثِّلون الحكمة والرَّزانة (Bourdieu, 1978).

ونعني بالشباب في بحثنا هذا، بالإضافة لمرحلة الطفولة الثانية (من6 إلى 12 سنة، حسب التقسيم الشائع في العلوم الاجتماعية)، تلك الفترة "البيولوجية الثقافية"، وهي الفترة المُمْتَدّة بين البلوغ واستقلالية الفرد من الناحية الاجتماعية والاقتصادية، أي أن الشاب هو ذلك الفرد من المجتمع الذي تتحدد فترته وفق النظرة الاجتماعية (ثقافيا)، ووفق ما تُحدده العوامل البيولوجية (البلوغ). هذا الطرح يُوافق طرح تالكوت بارسونز، الذي يرى بأن مفهوم الشباب يُطابق مفهوم المراهقة بالنظر للدور المحوري للثقافة في تفسير المعنى الثقافي للشباب من خلال الثقافات الفرعية للشباب. هذا التحليل قائم على سلسلة من المُعارضات بين عالم الأحداث وعالم الكبار من جهة، وبين عالمي الذكورة والأنوثة من جهة أخرى وهي مقاربة تنتمي لنظرية التطور الفسيولوجي والنفسي للمراهقة (Octobre, 2014, p. 8).

ويحدد شموئيل نوح أيزنشتات Shmuel Noah Eisenstadt أربع خصائص لفترة الشباب:

- الشباب مرحلة انتقالية، يتم فيها توزيع الأدوار الاجتماعية.
- الشباب مرحلة أساسية لتكوين الهوية الشخصية.
- مرحلة ربط بين العمليات النفسية والتاريخية والثقافية والاجتماعية، كخطوة ضرورية لبناء الهوية.
- مرحلة للتعلم الوظيفي، يتعلم فيها الشاب الامتثال لتوقعات المجتمع، وفق معايير ثقافية تُعَرِّف ماهية الشباب من حيث تعريف المفهوم (Octobre, 2014, p. 9).

ويُؤَكِّد أيزنشتات، على أن التعريف الثقافي لِسِن الشباب هو العامل الأساس الذي يُعطي للشباب إدراكه لهويته ومكانته الاجتماعية، وذلك انطلاقا من فكرة أن كل مرحلة عمرية للفرد تقابلها هوية معينة يبني عليها هذا الأخير تمثلاته وآراءه (Recours, 2012, p. 18).

3.3. الزمن الاجتماعي – The Social Time – Le temps social:

على الرغم من أن مفهوم الزمن الاجتماعي لم يحض بالقدر الكافي من الاهتمام في علم الاجتماع، إلا أنه توجد بعض الكتابات التي أشارت إليه أو تكلَّمت عنه، مثل المدرسة الدوركايمية، أو غورفيتش Georges Gurvitch، أو سوروكين Pitirim Sorokin، أو ميرتون Robert Merton، أو هربرت ميد George Herbert Mead، كل هؤلاء، اتفقوا على نفي الزمن الفيزيائي وفق النظرة النيوتونية، هذا الزمن، بالنسبة إليهم غير موجود، ولقد كتب في هذا الشأن هيدغر Martin Heidegger : «لا وجود للزَّمَن بدون الإنسان[2]». كما اتفقوا على أن الزمن هو بناء اجتماعي ناتج عن تعدّد الأنشطة الاجتماعية، وهو الذي يُنسِّق بينها ويُفصِّلُها ويُعطيها إيقاعها. حتى الزمن الحسابي والزمن البسيكولوجي لا يأخذ معناه إلاَّ بإدراجه في سياقه الاجتماعي (Sue, 1993).

الزمن الاجتماعي، مفهوم يُبيِّن البُنيةَ المُعقَّدة للواقع الاجتماعي. وذلك من خلال الكشف عن الأنشطة الاجتماعية حسب أهميتها والقيمة التي يوليها لها مجتمع ما، فكل نشاط اجتماعي يُعبِّر عن زمن اجتماعي معين. يُطلِعُنا الزمن الاجتماعي على منظومة القيم في ذلك المجتمع، ما يحيل إلى الهوية السائدة اجتماعيا وثقافيا. كما يُمكِّننا من فهم العلاقات الهرمية للأنشطة الاجتماعية وهيكلتها وأهميتها، حتى أنَّه يُسهم في تشكيل النظام الاجتماعي تَبَعاً لأهمية وهرمية الأنشطة الاجتماعية، ولأن كل مجتمع له علاقة مُمَيَّزة مع الزمن من حيث تراتبية هذه الأنشطة، فإن أي تغيير في هذا الترتيب يُعطينا مؤشرات حول تغيُّر اجتماعي عميق. ويَحْدُث هذا التحوّل عندما يكتسب زمن اجتماعي جديد أهمية أكبر، مثل ما أصبحت توليه المجتمعات في القرن العشرين للزمن الاجتماعي "للتعليم" أو "لوقت الفراغ"، أو كما حدث في القرن الثامن عشر، لما تحوَّل الزمن الاجتماعي الذي كان سائدا بآخر، كالزمن الاجتماعي للعمل الذي حلّ محلّ الزمن الاجتماعي للدين (Giuliani, 2025).

قد نتساءل عن الزمن الاجتماعي الذي تلا أو خلف الزمن الاجتماعي للعمل، ما هو؟ في الحقيقة هذا يرجع إلى المجتمع بحد ذاته، فالمجتمعات الغربية للقرن العشرين، تجاوزت الزمن الاجتماعي للعمل لصالح الزمن الاجتماعي لـ "وقت الفراغ". ولفهم الزمن الاجتماعي كما كَتَبَ روجيه سو Roger Sue، يجب اعتبار الزمن الاجتماعي كمجموعة من الأزمنة الاجتماعية الظاهرة والمهيمنة على الحياة الاجتماعية، أي بعبارة أخرى الأنشطة الاجتماعية التي تأخذ أكبر وقت في الحياة الاجتماعية لكل مجتمع؛ كالنشاطات المُكَرَّسَة للأسرة، العمل، التعليم

ووقت الفراغ: وتتضح أهمية دراسة الأزمنة الاجتماعية ومن بينها "وقت الفراغ"، في كونها تُعطينا مؤشرات هامة عن حركية المجتمعات وبوادر التَغَيُّرْ من نمط حياة مجتمعية إلى نمط آخر، وتسمح لنا كذلك بتحديد الأزمنة التاريخية للتحولات الكبرى للمجتمعات (Sue, Du temps social aux temps sociaux, 1994). مثل تحول المجتمعات الغربية (المجتمع الإنجليزي) في أواخر القرن 18، من مجتمعات زراعية إلى مجتمعات صناعية.

هنالك خصائص ومعايير تُمَكِّنُنا من معرفة "الزمن الاجتماعي" المُهَيْمِن، ولقد عَدَّدَّها جيلياني Jean-Christophe Giuliani إلى خمسة معايير.

– المعيار الأول "كمي"، ويعني هذا المعيار أنَّ الزمن المحسوب والمخصص لأي نشاط اجتماعي هو ما يُعطيه أهميته لكل مجتمع.

– المعيار الثاني وهو "النظام القيمي السائد" في ذلك المجتمع، وهو معيار كيفي، فالمجتمع من خلال إضفاء صفة قيمية معينة على زمن اجتماعي معين، يكشف عن النشاط الاجتماعي السائد فيه والذي هو هام وجاد وأساسي وذو قيمة ومقدس في آن واحد، وهذا يكشف عن تراتبية منظومة القيم في المجتمع، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، يعمل الزمن الاجتماعي السائد في هذه الحالة كمبدأ أسمى يُملي الممارسات ويُعطي المعنى للحياة الاجتماعية. ومن هنا يمكن اعتبار منظومة القيم السائدة في أي مجتمع من خلال ترتيب حسب الأهمية الأزمنة الاجتماعية "الدينية، والعملية، والأسرية، والتعليمية، والترفيهية).

– المعيار الثالث هو "نمط الإنتاج السائد" في المجتمع، وهو كل ما تُنتجه الأنشطة الاجتماعية المختلفة، اقتصادية، ثقافية، فنية، دينية، رياضية، عسكرية، تطوعية أو ترفيهية، إلخ. فإن الإنتاج السائد يُعَبِّر عن النشاط والزمن الاجتماعي السائد وبالتالي عن منظومة القيم والاهتمام والقيمة الممنوحة لكل شكل من أشكال الإنتاج المعينة.

– المعيار الرابع هو "الفئة الاجتماعية المهيمنة"، جميع المجتمعات تتميز بنظام هرمي تهيمن وتسيطر عليه طبقة أو نظام أو فئة أو نخبة أو فئة اجتماعية معينة، مرتبطة بنظام حكم معين هو الآخر، هذا يُعطي صورة واضحة إلى حد ما للنظام الاجتماعي. وتستند شرعية سلطة الفئة الاجتماعية المهيمنة إلى روابط مثل القرابة، المصالح المشتركة الاقتصادية والمالية، الأصل الاجتماعي، ورأس المال المعرفي والثقافي، وما إلى ذلك. كل هذه الروابط، تضمن وتعزز تماسك الجماعة المسيطرة بإنتاج نُخب تحافظ على الوضع الراهن. وكونها أقلية، فإن الفئة الاجتماعية المهيمنة تسعى للحفاظ على سلطتها ليس باستخدام القوة لوحدها. وإنما من خلال التحكم والتنظيم والتخطيط وهيكلة إيقاع الحياة والوقت والزمن الاجتماعي (النشاط الاجتماعي) في المجتمع حسب ما يضمن لها الشرعية ومُواصلة بسط سلطتها وفرض نظامها الاجتماعي.

– المعيار الخامس هو "التَمَثُّلات الاجتماعية"، لكي يُعتبر زمن اجتماعي مهيمناً، يجب أن يُعترف به كذلك من خلال التَمَثُّل الاجتماعي. أي، يجب أن يكون موضوع إجماع اجتماعي، وهو الذي سيُحَدِّد الزمن الاجتماعي (النشاط الاجتماعي) المُهَيمِن على الأزمنة الاجتماعية الأخرى ويُنَظِّمُها. وفيما يتعلق بتقييم زمن اجتماعي مهيمن، أو نظام قيمي، أو نمط إنتاج، قد تنشأ فجوة أو خلاف بين التمثل الجماعي والخطاب السياسي والإعلامي الذي يُعطي لزمن اجتماعي ما، صفة المهيمن أو المُتراجع، لكن من خلال التمثُّل الجماعي هو من يُحدد وزن وأهمية وترتيب الزمن الاجتماعي في ذلك المجتمع (Giuliani, 2025) .

4.3. الهوية:

يرتبط مفهوم الهوية بثنائية الشباب والفراغ بحسب الدراسات الحديثة في علم النفس الاجتماعي، من خلال أزمات الانتماء واثبات الذات التي تَتِمُّ مع جماعات الأقران والراشدين على السواء في المجتمع ومؤسساته الاجتماعية. وتظهر هذه الأزمات خصوصا، أثناء الاضطرابات النفسية التي يمر بها الشباب المراهقون، والتي تنتج عن الصراعات الداخلية لديهم بين شعورهم المستمر للحاجة للاستقلال عن سيطرة الراشدين (الأولياء، المعلمين، ...)، وبين وواجبهم نحو الامتثال للضوابط التي تحكم العلاقات فيما بينهم. كما أن الاختلالات التي تطرأ على المؤسسات الاجتماعية التي تعمل مباشرة مع فئة الشباب (المدرسة، مؤسسات الشباب، ...)، تتسبب في هذه الأزمات هي الأخرى عند فشلها في أداء وظيفتها الاجتماعية بالتكفل بانشغالاتهم واحتياجاتهم فيما يخص ملأ وقت فراغهم.

ويرى إريكسون أن الوظيفة الأساسية التي تشغل بال الشباب، هي بناء هوياتهم؛ فهم في مواجهة مستمرة إلى غاية سن الرشد مع هاجس ضرورة استمرارية وانسجام ذواتهم مع المواقف والسياقات المختلفة التي تواجههم في هذه الفترة. وهي فترة حرجة بالنسبة لما ستؤول إليه الهوية في سن ما بعد فترة الشباب. (Eric K. Layland. Brian J. Hill. and Larry J. Nelson, 2018, pp. 03-04) ويعرف إريكسون الهوية على أنَّها ذلك الإدراك لدى الفرد بالوجود لذاته واستمراريتها في الزمان والمكان، وكذا إدراك أن الآخرين يعترفون بهذه الهوية واستمراريتها لديهم. ومعظم دراسات علم النفس الاجتماعي، تُعرف الهوية انطلاقا من ثلاثة مستويات: الفردية–individuels، والعلاقاتية–relationnels، والجماعية–collectifs. فعلى مستوى الفرد تُعرَّف الهوية نسبة إلى جوانب مثل الأهداف التي يصبو إليها الفرد في حياته، وكذا القيم والمعتقدات التي يؤمن بها ويتبنَّاها. أمَّا على مستوى العلاقات فتُعرَّف الهوية نسبةً إلى دور ووظيفة الفرد في علاقته بالآخرين. وأما على المستوى الجماعي فتُنسب الهوية غالبا إلى عنصر انتماء الفرد إلى الجماعات والفئات الاجتماعية. وتبرز كُلُّ هذه الهويات والجوانب والعناصر بدرجات متفاوتة في مراحل مختلفة من الحياة. (Maehler, 2025, p. 907)

واعتمد جيمس مارسيا–James Marcia مستندًا إلى أعمال إريكسون في نموذجه لتطور الهوية، بُعدين لتحديد حالة الهوية الخاصة بالفرد. البُعد الأول تبنَّى فيه اسم "استكشاف البدائل"، وهو الاختيار بين بدائل متاحة تسمح له بتخطي الأزمات الهوياتية التي تصادفه، (مثل اختيار ترك الدراسة في المدرسة لعدم التحصيل الدراسي، لصالح التكوين المهني). أمَّا البُعد الثاني أسماه "الالتزام"، وهو تبني قرارات مصيرية تُحدد ميزة هوياتية لهويته والالتزام بها، (مثل اختيار مذهب ديني). وهكذا عن طريق الجمع بين هذين البعدين، حدد مارسيا أربع حالات للهوية: (Maehler, 2025, p. 909)

1–تحقيق الهوية– Identity Achievement: **أزمة** أدت إلى استكشاف بدائل مع **التزام** بالبديل المختار. (**أزمة+التزام**).

2–التعليق –Moratorium: **أزمة** تُؤدي إلى استكشاف البدائل لكن لا يتم اختيار أي بديل **وغياب الالتزام**. (**أزمة+غياب التزام**).

3–الحيازة أو الهوية المحجوزة– Foreclosure: **غياب الأزمة** لعدم وجود بدائل في غياب الاستكشاف مع **الالتزام** بما هو موجود (حالة تبني أهداف الوالدين والالتزام بها). (**غياب الأزمة+التزام**).

4–تشتت الهوية– Identity Diffusion: **غياب الأزمة** لعدم الاستكشاف مع **غياب الالتزام** بهوية ما. (**غياب الأزمة+غياب الالتزام**).

كما يُعدّ عمل جورج هربرت ميد في علم النفس الاجتماعي، مصدرا رئيسا لتحليل موضوع الهوية في نظرية التفاعل الرمزي. حيث يرى ميد أن الذات (الهوية) لا تتشكل إلا في سياق التفاعل الاجتماعي، عبر العلاقات التي يقيمها الفرد مع الآخرين من خلال اللغة. هذه الأخيرة، لكونها مشتركة، فهي تُمكّن الأفراد من تفكيك رموزها والوصول إلى دلالات كلام الآخرين، وفهم ما يقولونه عنهم، هذا يُمكنهم من معرفة ذواتهم والتعرف على الآخرين في الوقت نفسه. (Laflamme, 2016, p. 77) سياق تفاعلي يُوفر مثل هذه الشروط، نجده فيما يُسمَّى بالأنشطة الصفية النظامية لشغل الوقت الحر (وقت الفراغ) الذي تُوفره المدرسة كمؤسسة اجتماعية كما بينته دراسة جيل برونوفوست– Gilles Pronovostفي كتابه " L’univers du temps libre et des valeurs chez les jeunes ". وأوضحت الدراسة، بأن الشاب يبدأ بالسيطرة على وقته الحر والذي هو عامل أساس للهوية بداية من الأسرة. بحيث يستله من سيطرة الوالدين تدريجيا. هذا الوضع، ترى فيه الأسرة بأنه إضعاف لدورها التربوي، وهنا يتدخل النظام التربوي عبر المدرسة ليعوض السلطة الأبوية ويأخذ مكانها. (Pronovost, L’univers du temps libre et des valeurs chez les jeunes, 2007, p. 120) بعض الشباب يتعلمون تسيير "الأزمنة الاجتماعية" (زمن التمدرس، زمن المخالطة الاجتماعية، زمن الوقت الحر...) لديهم بحيث يرتبونها حسب أولوياتهم، أين تبقى الأولوية لزمن التمدرس. (صفحة Ibid 128) هؤلاء الشباب المندمجون في الأنشطة الترفيهية الصفية التي تمنحها المدرسة، من أنشطة بدنية و/أو نشاط القراءة لقضاء أوقات فراغهم، يتمتعون بهوية مستقرة وسليمة، عكس الشباب الذين لا يندمجون فيها. فالقراءة تفتح لهم آفاقا لمعرفة المجتمع عن طريق تنويع القراءات خارج الكتاب المدرسي؛ كالمجلات والجرائد...إلخ. (الصفحات Ibid 111-112) وتعزو الدراسة اتجاه الشباب نحو اختيار الأنشطة المناسبة لهم من غير المناسبة، إلى جماعة الرفاق. فالشاب يخضع لسيطرة المدرسة لتسيير وقت فراغه كاستراتيجية ناتجة عن تجربة مشتركة مع أقرانه، فهو يقوم

بتقييم تلك التجارب ويختار منها تلك الناجحة، فبالنسبة إليه، تُعدُّ هذه العملية في حد ذاتها كنوع من أنواع الترفيه وشغل وقت الفراغ بما ينفعه ويبني هويته. (صفحة Ibid 120) وكخلاصة لما تقدم، فإن الهوية لدى الشباب كونها عملية بناء ديناميكية مستمرة تخضع لسياقات اجتماعية مختلفة، كل سياق يلعب دورا في بلورتها وبنائها بدرجة ما من الأهمية كبيرة أو صغيرة، كالأسرة والمدرسة والشارع وجماعة الرفاق، إلا أن الفراغ والوقت الحر يبقى سياقا هاما، على علاقة كبيرة بالهوية. وهذا ما بَيَّنَتْهُ الدراسات الكثيرة في علم النفس الاجتماعي.

4. عن ثنائية الفرد والمجتمع وصراع الثنائيات في العلوم الاجتماعية:

نعني بالثنائيات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، تلك المفاهيم التي تتناقض أو تتكامل فيما بينها بطريقة جوهرية وحتمية، بحيث تُشكل فيما بينها الإرث الفكري الذي يسمح بدراسة البشرية وما يتصل بها من مجالات عملية وعلمية، مثل الجسد/العقل، والفرد/المجتمع، والمقدس/الدنيوي، فهي ثنائيات متكاملة حتى وإن كانت قد تتعارض بطريقة ما حسب تفكير ما. أو مثل الذكر/الأنثى، الذاتية/الموضوعية، فهي ثنائيات توحي بالاختلاف، لكنها وبطريقة ما وتفكير ما، هي ثنائيات متكاملة. وقد نجد من الثنائيات ما هو يُمثل الاختلاف المطلق مثل الخير/الشر، أو العدل/الظلم. وعلى العكس من ذلك توجد ثنائيات متكاملة مطلقا مثل العدل/المساواة، الجماعة/الاتحاد. تُمثل كل هذه الثنائيات مجتمعة، أدوات تحليلية في يد الباحثين لفهم التعقيدات الاجتماعية والنفسية والثقافية، كما يتجلى ذلك في النقاشات النظرية، والمناهج التحليلية المختلفة.

إن التناقضات التي تثيرها بعض الثنائيات من حيث أنها تُخفي داخلها ما لا تُظهر، كونها تحمل في ذات الوقت المعنى وعكسه، هي تناقضات أَسَّسَت لما يُعرف بمفهوم "صراع الثنائيات"، والذي يعني التوتر القائم بين المصطلحات من الناحية اللغوية أو الاصطلاحية (الخير/الشر، العقل/المادة)، والتي تُشكل وتبني تفكيرنا وعالمنا. هذا الصراع يُثير أيضًا التحديات التي تُمثِّلها هذه التناقضات في مجالات مُتنوعة كالعلاقات الإنسانية وما يرتبط بها من تفاعلات تجري في سياقات تفاعلية، كالعملية التعليمية (المدرسة) على سبيل المثال، باعتبارها أداةً للتنشئة في مواجهة مباشرة مع أوساط التنشئة الأخرى الموازية لها (الأسرة). كذلك تبرز مع "صراع الثنائيات" أهمية تجاوز التناقضات وإيجاد مكامن التكامل بين المفاهيم المختلفة، لأن صراع المفاهيم يُؤدي إلى صراع الأفكار، والذي يُؤدي إلى تجسيد الصراعات في واقع المجتمعات وفيما بينها. مع ذلك، "صراع الثنائيات" يؤدي كذلك إلى خلق صحوات نهضوية، فثنائيات مثل الحاجة/الإبداع أو القمع/الحرية، تشهد على ذلك. ويرى البعض، أنَّ تطور البشرية هو نتيجة مباشرة لصراع الثنائيات المُتَضَادّة، فـ "صراع الأضداد"، عند بعض العلماء في علم الاجتماع مثل هيجل وماركس وزيمل أو موسكوفيتسي هو مُحرك رئيسي لتطور البشرية وعامل مُهِم للتغير الاجتماعي (Edmond Marc & Picard Dominique, 2015) .

إنَّ "صراع الثنائيات"، مفهوم راسخ في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ويظهر ذلك في صراع ثنائية الفرد/المجتمع. كما أنَّه صراع بين علمين مستقلين هما علم النفس وعلم الاجتماع، اللذان يُشكلان بدورهما ثنائية معرفية، العلم الأول يعتني بدراسة الفرد لكنه يواجه مشكلة عدم اهتمامه بالقدر الكافي لبيئة هذا الأخير أي المجتمع. العلم الثاني يعتني بدراسة المجتمع ويُعطيه الصبغة القهرية والحتمية (الكُلِيَّانية)على الفرد ويُغْفِل أثره ودوره كونه وحدة تُشكل هذا المجتمع (Tarot, 2004). ومع ذلك، فإنّ: «"الفرد هو المجتمع" و "المجتمع هو الفرد" إذا النقاش حول هذه المسألة مُغْلَق» ، هذا ما قاله جورج غورفيتش، وعليه، فالمسألة لا تتعلّق بِصِراع يَتَضَمَّنُ تَضَادًّا حَقِيقِيًا لثنائيتين (المجتمع/الفرد و الفرد/المجتمع)؛ لأنّ لفظ الفرد لا يعني نفي المجتمع والعكس صحيح (كما هو الحال في الأضداد الصريحة أو المتقابلة)، ولا يمكن اعتبارهما تدرُّج من نوع ما، لطرفي معادلة ما، كما في حال الثنائيات ذات الحدود التي يُمْكِن حسابها كَمِّيا مثل: حار/بارد، أو كبير/صغير، فهي أضداد تَدَرُّجِيَة (George Gurvitch In Joly, 2014).

وعلى خلاف جورج غورفيتش، السوسيولوجي الذي ينفي الصراع بين ثنائية الفرد والمجتمع، نجد عالم النفس الاجتماعي سارج موسكوفيتسي يُؤكد بأن علم النفس الاجتماعي هو العِلم الذي سيفصل في هذه المُعْضِلَة، لأنّه "علم الصراع بين الفرد والمجتمع". إنَّه عِلمٌ يدرس العلاقات الاجتماعية المُعقّدة، وأنظمة الترابط المُتَكَوِّنَة من متغيّرات فردية ومنتمية في ذات الوقت إلى الحقل الاجتماعي، وهي متغيّرات

تنتج عنها سلوكيات تتميّز بخصائص اجتماعية وثقافية معاً (Mathelet, 2011). وتُعدّ ثنائية الفرد/المجتمع محورًا رئيسيًا في علم النفس الاجتماعي وِفْق النظرة الصراعية الأنجلوسكسونية اللاتينية، فهو يدرس التفاعلات الناتجة بين الفرد وواقعه الاجتماعي، سعيا إلى فهم الكيفية التي يتأثر بها سلوك الأفراد عند تفاعلهم بالجماعات والمؤسسات المجتمعية، وكيف يؤثر الأفراد بدورهم في هذه البُنى (Moser, 2006) .

إنَّ مفهوم الثنائيات إذا ما رجعنا إلى معناه في اللغة العربية (لغة القرآن) فهو يُشير إلى كلِّ المُتضادَّات والمُتكاملات التي خلقها الله، حسب ما ذهب إليه مُعظم المُفسرين للقرآن الكريم، فالله عزَّ وجَلَّ يقول: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الذاريات: 49]، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس: 36] (علا، 2018). إننا نجد اختلافا من حيث أن كلمة "ثنائية" في اللغة العربية تُعَبِّر عن كل المعاني المحتملة لها عكس اللغة الفرنسية (وحتى الإنجليزية)، فنجد أن الثنائية في اللغة العربية، يقابلها مُصطلحين اثنين؛ "Dualité" وتعني: كل شيء يتكوّن من عنصرين متعارضين غير قابلين للانفصال، مثل أنَّ الخلق ذو طبيعة ثنائية، بمعنى أنه لا يوجد أبيض من دون أسود، ولا ظِلّ من دون نور، ولا امتلاء من دون فراغ. و"Dualisme" ويَعْني: التأكيد على تناقض العناصر المُكوِّنة للثنائية إلى حد استحالة التوافق. وبالتالي تُؤكد "الازدواجية Dualisme " الطابع المنفصل وغير القابل للتوفيق بين العناصر، في حين تفترض "الثنائية" أن العناصر التي تُكوِّنها مُترابطة وغير قابلة للانفصال (JePense.org, 2019).

في "علم النفس"، تفترض الثنائية وجود كيانين متنافسين، في صراع دائم هما: "الجسد والعقل". إذ يرى الفرد نفسه سَجِينَ جسده الخاص، وهذا الصراع الداخلي هو الذي أدَّى إلى نشوء نظريات الإدراك والوعي والهوية في هذا العلم (JePense.org, 2019). ويمكن الإحالة إلى نظريات علم النفس؛ نظرية التحليل النفسي لفرويد ونظرية الإحباط لدولاردو.

أما في "علم الاجتماع"، دعنا نأخذ برأي دوركايم في هذا الشأن، فهو يرى صراع الثنائيات من وجهة نظر دينية؛ بحيث يُمثِّل الصراع بين الثنائيات، صراعا صوريا غير حقيقي. فبالنسبة إليه هذا الدين الذي يحتمل الصراع بين ثنائية " المقدس والدنيوي" لا يُمكن أن يكون حقيقيا، كيف ذلك؟! والحدود بين المقدس والدنيوي شفافة بحيث يمكن أن تتداخل من خلال الفرد الذي يُجسد كل ما هو دنيوي، فقد يقترب الى المُقدَّس بل قد يُصبح مُقَدَّسًا هو بذاته، كلما ترك دنياه وأقبل أكثر على المُقدَّس. وينطلق دوركايم من فكرة أنَّ الدين هو الظاهرة الاجتماعية الأساسية التي تمكننا من فهم بنية المجتمع العميقة والطبيعة الازدواجية للإنسان. فالدين، في منظور دوركايم، لا يُختزل في معتقدات ميتافيزيقية، بل يشكّل نظامًا من التمثلات والممارسات الجماعية التي تنظّم الحياة الاجتماعية. وعلى هذا الأساس، فإنَّ ثنائية "المقدّس/الدنيوي" هي مُنْطَلَق جميع الثنائيات في التحليل السوسيولوجي الدوركايمي للظواهر الاجتماعية، إذ يُمثِّل "المقدّس" تجسيدًا رمزيًا لسلطة المجتمع الأخلاقية على الأفراد، في حين يُمثل "الدُّنيوي" مجال الحياة اليومية للفرد. وتنطبق هذه الثنائية، على مستوى العلاقة المتوترة بين الفرد والمجتمع، حيث تحكم الفرد الميول والرغبات الخاصة، بينما يكبحها المجتمع كقوة معيارية مُلْزمة تُملي قواعدها عليه. ويُعَبِّر هذا الصراع بين ثنائية الفرد والمجتمع، عن صراع بنيوي ضروري لبناء نظام اجتماعي مُحكم. فَالدِّينُ، من خلال رموزه وطقوسه، يعمل كآلية لتنظيم هذا الصراع وإعادة دمج الأفراد داخل الجماعة، محوّلًا التناقض بين الفرد والمجتمع إلى مصدر تضامن اجتماعي (Wolfgang Schluchter traduit par Isabelle Kalinowski, 2013). وباعتبار عاملي الهوية والنشوء الثقافي، يمكن تأكيد ذلك من خلال طروحات كلود ليفي شتروس، في كتابه "الأنثروبولوجيا البنيوية".

أمَّا "وقت الفراغ" بالنسبة لـ دوركايم، فهو عامل من عوامل تعزيز التضامن الاجتماعي وتشكيل "الوعي الجمعي — La conscience collective"، لدى المجتمعات، مثله مثل "الدين" المشترك و"العمل" الواحد، وما إلى ذلك من عوامل الربط بين الأفراد فيما بينهم، والتي من شأنها تعزيز الروابط الاجتماعية (libretexts, n.d.) . وأمَّا الهوية بالنسبة لـ دوركايم دائما فهي هويتان؛ هوية فردية وهوية اجتماعية، يمتلكهما الكائن الاجتماعي ليس بطريقة شخصية ولكن عن طريق الانتماء إلى الجماعة وبواسطة التنشئة الاجتماعية .(Kidj O. C. & Mimoune. S, 2025). بهذا يكون الفراغ عند دوركايم أحد الفضاءات الذي تتشكل فيه الهوية الفردية المستمدة من الهوية الاجتماعية بعدما تبلورت بدورها داخل الوعي الجمعي للمجتمع.

ورجوعا إلى مشكلة التناقض بين الفرد والمجتمع والتي يراها دوركايم مصدرا للتضامن الاجتماعي. فكما أشرنا إليه أعلاه، جورج غورفيتش وبطريقته الخاصة، يرى أن هذا التناقض بين ثنائية الفرد والمجتمع، يدخل ضمن خانة "المشكلات الوهمية" في "الفلسفة الجدلية"، فبالنسبة إليه "الفلسفة الجدلية" على عكس التصور الذي يدور حولها –بأنَّ جوهرها يقوم على تناقض الأشياء (القضايا) بالضرورة–؛ خصوصا إذا تعلَّق الأمر بالمنهج الجدلي كأداة تحليل في علم الاجتماع، إنما هو وهم مفاهيمي راجع إلى التجريبية المفرطة " Hyperempirisme"، فالجدلية عامل توحيد بين الموضوع والمنهج في العلوم الإنسانية. وكمنهج فهي تسمح بفهم حركية المجتمع أثناء البناء وإعادة البناء؛ فالمنهج السوسيولوجي والتغير الاجتماعي لا يمكنهما تفسير موضوع علم الاجتماع إلا من خلال جدلية غورفيتش. فبالنسبة إليه، ما قد يظهر لنا تناقضات إنما هو انعكاس للحقائق الاجتماعية على طبيعتها، فالتناقض أو الصراع الظاهر بين الثنائيات ك "الفرد/المجتمع، علم النفس/علم الاجتماع"، ليس إلا تكامل كامن (Cazeneuve, 1966).

إنَّ الصراع كمفهوم، مُسْتَوْحًى من النظرية الماركسية المتجذرة بدورها في الجدلية، يَنظُر إلى الفرد ككائن مُغترب بالنسبة للمجتمع القائم على الطبقية (Doucet, 2009). كما ينظر إلى المجتمع باعتباره مجال تنافس بين جماعات وأفراد على موارد محدودة، يمتلكون مستويات متفاوتة من السلطة. هكذا يرى كارل ماركس المجتمع، فهو بالنسبة إليه مجموعات أفراد تنتمي إلى طبقات اجتماعية مختلفة، تتنافس على الموارد الاجتماعية والمادية والسياسية، كالغذاء والسكن والعمل والتعليم ووقت الفراغ. وتعكس المؤسسات الاجتماعية، كالحكومة والمدرسة والمؤسسة الدينية، هذا التنافس عن قصد أو دون قصد في صرا ع ثنائيات يُطابق " فرد /مجتمع = فرد/ مؤسسات " لأن المؤسسات تتحكم فيها أقلية تحتكر الموارد. مِمَّا يجعل البُنية الاجتماعية غير متكافئة في شكل طبقات، وبالتالي بيئة مثالية للصراع (lumen, n.d.) . مع ذلك ورغم الصراعات، يُعدّ المجتمع عند ماركس، قبل كل شيء، كُلاًّ لا ينفصل عن الفرد، قبل أن يكون بيئته. فهما متداخلان فيما بينهما، وكلُّ محاولة لمعارضة هذين البُعدين تؤدي إلى إنكار كليهما، حيث كتب: «قبل كل شيء، يجب أن نبتعد مِرارا عن اعتبار المجتمع مفهومًا مجردًا في مقابل الفرد. فالفرد كائن اجتماعي». (Vachet, 1975) .

إنَّ صراع ثنائية الفرد/المجتمع عند ماركس، يتمثل في صراع الفرد مع أربعة أشكال من الاغتراب، حيث يشير الاغتراب لديه، إلى حالة العزلة والانفصال التي يعيشها الفرد عن مجتمعه وعمله وهويته.

– الشكل الأوَّل هو الاغتراب عن منتوج عمله: قد يعمل الفرد على جزء من منتوج صناعي (سيارة مثلا) ولا يراها كاملة طيل مدة عمله، بل قد لا يمكنه امتلاكها أبدا.

– الشكل الثاني هو الاغتراب عن العملية الانتاجية: لا يملك الفرد العامل أي سيطرة على ظروف عمله لأنه لا يملك وسائل الإنتاج (المصنع، والأدوات، والمواد الخام). فهو لا يملك حرية تغيير المنتوج، بل مُجبر على اتباع أوامر المالك.

– الشكل الثالث هو الاغتراب الاجتماعي: ويتمثّل في التنافس الذي ينشأ بين الأفراد فيما بينهم على من يحصل على المكافآت والأوقات الإضافية للعمل، كما يتمثل في الصراع مع المُلاَّك الآخرين (التاجر، مالك السكن...) خارج العمل بعد حصوله على أجره.

– الشكل الرابع هو الاغتراب مع الذات: وينتج عن انقطاع الصلة بين الفرد العامل مع عمله من خلال غياب الارتباط العاطفي والملموس مع وساءل الإنتاج وما يُنتجه، مِمَّا يُفقدُه الإحساس بهويته، لأنه لا يستطيع الافتخار بهوية مهنية لا يملك منها سوى جُهده (lumen, n.d.).

بالنسبة لـ ماركس، لم يغب لديه "وقت الفراغ" كمفهوم، بالرغم من أنَّ البعض يعتبره مفهوما يقتصر على المجتمعات الرأسمالية فقط.

يمكن تمييز نضرتين فكريتين فيما يخص مفهوم "وقت الفراغ" عند ماركس. الأولى ترى أنه في المجتمع الشيوعي، يندمج "وقت الفراغ" والعمل الالزامي بشكل مُتداخل لا تُمَيِّز فيه بينهما، حيث تتحقق قيم وأهداف وقت الفراغ من خلال العمل وثم العمل، وهذا يرجع لكون العمل في هذه المجتمعات (الشيوعية)، لا يقترن بشعور "الاغتراب". أمَّا الثانية، فترى أن ماركس يُفسِّر "وقت الفراغ" على أنه "الوقت الحر"

الذي يأتي بعد تلبية الاحتياجات الأساسية من خلال العمل الالزامي– على أساس مقارنة بين نشاط العمل وعدم القيام بأي نشاط أي "الكسل، Idle time، L'Oisiveté " (Goldstraw, 2024, p. 326).

5. تمظهر ثنائية الفراغ والشباب من خلال ثنائية الفرد والمجتمع في العلوم الاجتماعية:

بِدايةً، يجب أن نُفَرِّق بين مفهوم "الثنائية المُنْقَسِمَة — dichotomy – dichotomie"، المأخوذة من اليونانية " dikhotomos" والتي تعني "القطع إلى نصفين"، (linternaute, n.d.). ومفهوم "الثنائية — duality – dualité". الأول؛ يُحيل إلى تلك المتغيرات التي تحمل قيما مُتعارضة بالضرورة، أما الثاني؛ يُحيل إلى متغيرات تحمل قيما مُختلفة، لكن ليست متعارضة بالضرورة، أي أنَّ مفهوم "الثنائية" أَعَمّ وأشمل. وتُعتبر الثنائيات مفاهيم فلسفية، بل تَمْتَدُّ في بعض السياقات إلى أبعاد نفسية "psychologiques" (ABİDOĞLU, 2023, p. 578). وهذا ما يجعل منها عناصر وأدوات تحليل مناسبة في ميدان العلوم النفسية والاجتماعية. إنَّ علم الاجتماع المعاصر يقوم على الثنائيات والتناقضات، وِفْقَ نظرة تدخل في إطار فلسفة التاريخ، ولا سيما فلسفة التطور المعرفي للبشرية (ABİDOĞLU, 2023, p. 576). ولقد فرضت الثنائيات نفسها على الحياة الاجتماعية، كما على العلماء والمفكرين بتناقضاتها أحيانا، وتكاملاتها أحيانا أخرى؛ يَتَّضِح ذلك مثلا في مفهوم "الرعاية المجتمعية"، أي حماية الفرد في المجتمع عبر مؤسساته المختلفة، فالثنائية هنا هي ثنائية تُعَبِّر عن التكامل، أي تكامل المجتمع مع الفرد عن طريق تَوْفير حماية سوسيو–نفسية، تجعل منه فردا مُتوازنا يُساهم بدوره في توازن المجتمع. ويرى أدورنو وهوركهايمر، أنَّ انهيار المُؤسسات الاجتماعية، الناتج عن الحداثة وانتشار التكنولوجيا، وتحول العلاقات الإنسانية إلى سِلع، أدَّى إلى عجز المؤسسات الاجتماعية (المجتمع) كالأسرة، عن حماية أفرادها من الاغتراب الاجتماعي الذي فرضته الحياة العامة، وضغوط العمل التي تَوَغَّلَتْ في خصوصياتهم عن طريق المؤسسات الاجتماعية، خاصَّةً الإعلامية منها، حتى أنها تَوَغَّلَت في عالم الشباب والطفولة وفي أوقات فراغهم (Maigret, 2015, pp. 66-67). هذا التَوَغُّل في عالم الوقت الحر (الترفيه) للشباب، على العكس من أدورنو، يرى فيه إدغار موران، بأنه عامل بِناء إيجابي لتعميم "وقت الترفيه" الذي سَيُؤَدِّي إلى كسر حواجز الفروقات الاجتماعية التي يُنتجها المجتمع بين الأفراد. هذا الوقت الذي تصنعه المؤسسة الإعلامية (الصناعة الثقافية)، أنتج جمهوره الخاص؛ جمهور تذوب فيه حواجز الاختلافات، وتتواصل فيه الهُويات (Maigret, 2015, p. 178). هذه التناقضات حول من يرى بأن مؤسسات المجتمع أثَّرت بالسلب أو بالإيجاب في وقت الفراغ، هي بالفعل ما أكَّدته العديد من الدراسات حول علاقة وقت الفراغ بالشباب، حيث جُلُّها تَتَمَحْوَرُ حول إثبات الذات، واكتساب الخبرات، وتشكيل الهوية، لكن كيف ذلك؟

يُوفِّر "وقت الفراغ" سياقات اجتماعية تُتيح وتسمح للشباب، بتوجيه خبراتهم الذاتية نحو أهدافهم، بعيدًا عن الالتزامات المُرتبطة بالمؤسسات الاجتماعية المُلْزِمَة كالعمل أو المدرسة أو الأسرة. ونظرًا لِكَوْن النموّ البشري يتبلور عبر تأثير العلاقات التبادلية ثنائية الاتجاه بين الفرد والسياق الذي يكون فيه (المجتمع)، فإن "وقت الفراغ" بوصفه سياقًا مُؤَطِّرًا يسود فيه عاملا "الحرية والاختيار"، يُوَفِّر هذا الأخير، بَيْئَة مُلائِمة تُمكّن الأفراد (الشباب) من إعادة بناء محيطهم الاجتماعي وتشكيل هوياتهم بصورة مستقلة هُم من يتحكم فيها بتوجيه من الخبرات التي اكتسبوها ضمنه (Eric K. Layland. Brian J. Hill. and Larry J. Nelson, 2018).

6. صعوبات دراسة الشباب في العلوم الاجتماعية والحاجة المُلِحَّة لعلم النفس:

كما أشرنا أعلاه، فإن بداية علم اجتماع الشباب كانت مع دوركايم، لكن هذا الأخير كما كان معروف عنه، غلَّب الفكرة الكُلِيَّانية على الفردانية، وهي فكرة شكَّلت هاجسا كبيرا لديه كونه أراد أن يُبعد علم الاجتماع عن كل ما هو نفسي سعيا منه الاستقلال بعلم الاجتماع عن كل ما هو علم نفس، معتبرا أن الفرد خاضع للوقائع الاجتماعية التي تمارس عليه صفة القهر (melchior, 2025). ينطلق دوركايم من مفهوم "الجيل الشاب" الذي في كل مرة يدخل مُعترك التنشئة الاجتماعية في العملية التربوية، إلاَّ وَكُلُّ فَرْدٍ منه، يجب أن يترك وراءه أنانِيَّتَه وفردانيته التي أتى بها من أسرته، نافيا بذلك كل الخلفيات الاجتماعية والانسانية والاستعدادات الفطرية التي ترافق الطفولة والأحداث. لقد جاعل من الطفل (الشاب) ذلك الكائن الجديد الذي يمكن تلقينه عن طريق العملية التعليمية، ليُصبح مستعدا للخضوع للقوانين والمعايير المجتمعية والالتزام بتطبيقها، كُلُّ هذا، ليُثبت عُلوّ كعب علم الاجتماع على علم التربية. ومع ذلك فإن دوركايم لم يستطع

فيما سمَّاه بالعملية التربوية، الاستغناء عن علم النفس وأدواته، لأنه هو الذي يسمح بتحقيق الأهداف التربوية كوسيلة في يد المربي. هنا دوركايم يعترف ضمنيا، بأن علم النفس هو الذي يُمَكِّن المربي من معرفة الميول والعادات والرغبات والمشاعر لدى الشباب (Galland, 2022, p. ibid).

حتى الأنثروبولوجيا مع إقرارها بصعوبة دراسة متغير الشباب (المراهقون)، إلا أنها أثبتت بأن لا علم الاجتماع ولا علم النفس تمكنا من إعطائنا التأصيلات العلمية الموضوعية المرجوة من دراسة هذه الفئة. فالدراسة التي قامت بها مارغريت ميد حول الشباب لقبائل بدائية، خلصت إلى أن مشاكل الشباب المراهق هي ناتجة عن نمط عيش المجتمعات الحديثة، فالشباب في هذه المجتمعات مُعرَّض لضغوطات خارجية انعكست على سلوكياتهم. عكس الشباب في المجتمعات البدائية الذي يعيش مرحلة الشباب دون إدراكها بمعناها المجرد، فهو ينتقل من مرحلة عُمُرية إلى أخرى بسلاسة. مارغريت ميد في تلك الفترة (ثلاثينيات القرن الماضي) صَرَّحَت، بأن الأنثروبولوجيا على عكس علم الاجتماع وعلم النفس، –هذا الأخير، الذي سلَّم بأن الشباب مرحلة عُمُرية، يرافقها تغيرات بيولوجية وفيزيولوجية، هي التي تُدير سلوكيات الشباب– ، أثبتت بأن مشكلات الشباب، هي مشكلات ثقافية بالدرجة الأولى، فالأنثروبولوجيا كعلم يمتلك الأدوات المنهجية المناسبة لدراسة المجتمعات على حالتها الطبيعية، ولأن المجتمعات البدائية تُوفر هذه الفرصة، فهي عبارة عن مخبر مفتوح يُمَكِّن الأنثروبولوجي من إخضاع فرضياته للتجربة والمقارنة على مستوى الجماعات الكبيرة؛ أي مقارنة شباب مجتمع بدائي لم يخضع لمظاهر ومؤثرات العصرنة والتكنولوجيا، مع شباب المجتمعات الغربية الخاضعة لهذه المظاهر (Mead, 1969, pp. 9-15).

كل ما سبق يقودنا إلى تساؤل مشروع. هل الأنثروبولوجيا رغم كل الصعوبات المنهجية والمتعلقة بعديد العلوم المهتمة بشأن فئة الشباب، التي أحصتها مارغريت ميد بخصوص دراسة الشباب حسمت الأمر علميا وموضوعيا، بخصوص دراسة هذه الفئة؟

الإجابة جاءت في ثمانينيات القرن الماضي في عمل قام به ديريك فريمان – Derek Freeman، انتقد فيه عمل مارغريت ميد مُستشهدا بمعايير "علمية العلوم– la scientificité" لـكارل بوبر، والتي ترى بأن أساس علمية النظرية هو اعتماد على الأقل، على المعيار الأساسي لهذه المعايير، والذي يراه الأكثر صلابة للحكم على صلاحيّة النظريّة، ألا وهو معيار "الدحض". ووفقًا لهذا المعيار، فإن مجرد ظهور حقيقة تجريبية واحدة لا تُؤيّد كل نظريّة تم التحقق من صحتها المفترضة (وهذه هي طبيعة العلوم الإنسانية والاجتماعية، فهي علوم مهما بلغت من الدقة، تبقى نسبية) فهي حقيقة تجريبية كفيلة بدحض هذه النظرية أو تلك مهما كانت، وبالتالي فهي نظرية خاطئة. كما اعتبر بوبر، أن المعرفة المدحضة في حدِّ ذاتها هي مَعرفة علمية، لأنها تُمكّن من ممارسة الرقابة الذاتية الشديدة الفعاليّة على مدى صحّة المعرفة (Juignet, 2015). على هذا الأساس قام فريمان بدحض دراسة مارغريت ميد، واعتبر أن خطأ ميد يكمن في تصوّرها بأن "التأويل" باعتباره أداة منهجيه مُسَلَّم بها في ميدان الأنثروبولوجيا، هو ما يجعل من نظريتها نظريةً صحيحة، في حين كان ينبغي منها الاعتماد على المسلَّمات العلمية للسلوك الإنساني في التحليل الاجتماعي، لأن المسلَّمات العلمية، مرتبطة بالضرورة بالطبيعة البيولوجية للإنسان (Tcherkézoff, 1997). أي أن فريمان يُريد أن يقول بأن حصر فهم مشكلات الشباب في العناصر الثقافية للمجتمع لوحدها، هو مجرد افتراء علمي إذا ما اعتمدنا المعايير العلمية للدراسات الإمبريقية كما حددها كارل بوبر. فالعناصر البيولوجية تلعب دورا أساسيا لفهم صحيح لمشكلات الشباب.

انطلاقا من هذه النتيجة التي توصّل إليها فريمان، والتي توصل إليها آخرون قبله (بأن الدراسة العلمية للشباب لا يمكن أن تقتصر على علم مُحدد، ولا يُمكن الجزم بالنتائج المتَوَصَّل إليها بأنها حقائق علمية مُطْلقة). نجد أنه من الاجحاف عدم نقد غَلبة علم النفس على الدراسات التي اعتنت بالشباب في فترة ما من القرن الماضي (بداية من دوركايم عالم الاجتماع، ومرورا بـ بول فوكونيه Paul Fauconnet عالم الاجتماع، وصولا إلى موريس دوباس Maurice Debesse عالم التربية) في المدرسة الفرنسية التي اعتمد معظم علمائها على علم النفس بالرغم من أنه ليس اختصاصهم الأصلي (Galland, 2022, p. 43).

من المعلوم أن علم النفس كعلم قائم بذاته سابق لبقية العلوم، على الأقل من الناحية الأكاديمية، فهو ذو باع من الناحية المنهجية، لذا نجد أن معظم الاختصاصات الأخرى اعتمدت عليه، حتى وإن سعت جاهدة للاستقلال عنه أو الإنقاص من قيمته العلمية لدرجة

اعتباره أداةً لهذا العلم أو ذاك (حال دوركايم والآخرون) (Galland, 2022, p. ibid). وكعلم متطور من الناحية المنهجية، لأنه الأول في استعمال المنهج التجريبي ضمن العلوم الإنسانية والاجتماعية، فهو يملك تاريخًا طويلاً في دراسة وتحليل متغير الشباب كمكون مجتمعي. طبعا لا يوجد علم نفس للشباب (غدي، 2021)، إنما علم النفس اهتم بمراحل عمرية مرتبطة بعوامل مثل، عامل الارتباط الوظيفي والاتكالية La dépendance (الطفولة/الأمومة)، أو عامل الأزمات النفسية (المراهقة/الاستقلالية). فالشباب مرحلة عُمُرية غير محددة علميا، فهي مرتبطة بعوامل ثقافية للمجتمعات المختلفة، لذا لا نجد غالبا الحديث عن هذه الفئة صراحة في علم النفس بالرغم من أنها تشكل مادته الدسمة لدراساته وبحوثه المختلفة، خاصة الدراسات المختلطة في المجال التربوي كعلم النفس التربوي، وعلم النفس النمو. لكننا نجد الإشارة إليها ضمن المراحل العمرية التي يمر بها الطفل والمراهق، والتي حددها العلماء على اختلاف تخصصاتهم (مراحل بيولوجية، فيزيولوجية وقانونية).

هذا ما نَجِدُه عند جان بياجيه Jean Piaget عالم النفس والبيولوجي في الأصل، صاحب الأعمال الرائدة في علم النفس الطفل وعلم النفس النمو، هذا البيولوجي و الابستمولوجي الذي غير نظرة العلم للطفل، حيث شدَّدَ على عدم اعتبار الطفل راشدا (رجلا) صغير الحجم، وعلى أن نأخذ هذا العامل بجدية، وأن لا نتغافل عنه عند دراستنا له. لقد اكتشف بأن اختبارات الذكاء التي كان يُعِدُّها علماء النفس في تلك الفترة تنطلق من فهم خاطئ من الأساس، كون أن من أعدوها أغفلوا عامل التجرد من كونهم راشدين وبأن الطفل لا يُفكر كالراشدين. من هنا انطلقت نظرية بياجيه حول التطور المعرفي للطفل، والتي قسّمها إلى أربعة (04) مراحل: (Ruiz, 2024)

- المرحلة الحسّيّة الحركيّة: يكتشف فيها الأطفال العالم من خلال حواسّهم والحركات الجسديّة، ويطوّرون مفهوم "ديمومة الأشياء"، أي بمعنى أن الأشياء موجودة حتى وإن لم يكونوا يرونها.
- مرحلة ما قبل العمليّات: يستخدم فيها الأطفال اللغة والرموز، مُركزين على ذواتهم (تفكير أناني).
- مرحلة العمليّات الملموسة: يبدأ الأطفال في هذه المرحلة بالتفكير المنطقي عن الأشياء الملموسة.
- مرحلة العمليّات المجردة: يطوّر فيها المراهقون القدرة على التفكير بشكل مجرّد ومنطقي، وإعطاء صور للأشياء، وهي مرحلة أساسية في تطوّر التفكير العلمي والرياضي لديهم.

يبدو أن بياجيه تأثر بأعمال عالم النفس جامس مارك بالدوين James Mark Baldwin، الذي يُعَدّ أوّلَ منظِّري علم النفس الوراثي (السيكولوجيا الجينية). ويمكن اعتبار مقالاته حول نشأة التفكير المنطقي مرحلةً مهمّة في تاريخ علم النفس. فلقد طوّر قبل بياجيه علمَ نفسٍ وراثيٍّ للذكاء مُستندا إلى مقاربة بيولوجية. إلّا أنه من الناحية المنهجية، فـ بالدوين لم يُدرك أهمية الإلمام بالإبستمولوجيا من أجل إجراء دراسات حول تطوّر ذكاء الطفل أكثر مصداقيةً علمية. أمَّا من الناحية النظرية، فإن اعتماده على النظرية التطورية واسقاطها على علم النفس، لم يسمح له عكس بياجيه بإثراء التفسيرات الممكنة للتطوّر البيولوجي للمعرفة والذكاء لدى الأطفال (Piaget Fondation, 2025).

لكن مع ذلك فإن نظرية بياجيه والنظريات النفسية التي اعتنت بالطفل والشاب، لم تسلم من الانتقادات، فدوما ما نرجع إلى نقطة البداية، أي ذات الانتقادات التي طُرحت بالنسبة للعلوم الأخرى آنفا. فهي إمَّا انتقادات ذات علاقة بالمنهج المتَّبع في الدراسة، أو انتقادات ذات علاقة بالمتغيرات السياقية والبيئة المؤثرة لفهم وتحليل متغير الشباب.

ولعل أهم الانتقادات الموجهة لـ بياجيه هي تلك التي وجهها له ليف فيغوتسكي- Lev Vygotsky. الذي رأى بأن البيئة والظروف الاجتماعية والثقافية المحيطة بالطفل مع اللغة، والتي أهملها بياجيه في نظريته تلعب دورا أساسيا في نمو الذكاء المعرفي لديه، مثلها مثل الجينات الوراثية (سعد، 2021). كما يعتقد بعض الباحثين أنّ بياجيه قد تجاهل التأثيرات الثقافية والتعليمية والاجتماعية في التطوّر المعرفي لدى الأطفال، وذلك بدراسته لأطفال لا ينتمون إلى خلفيّات اجتماعية متنوّعة؛ حيث اقتصر بحثه على أطفال يعيشون في مجتمع غربي ويتمتّعون بتعليم نظامي. كما أن بحثه، كان قائمًا على تفاعل الأطفال مع الأشياء المادية. لقد بَيَّنت الأبحاث فيما بعد، أن نمط الحياة والسياق الثقافي يلعبان دورًا مهمًا في التطوّر المعرفي، غير أنّ بياجيه تجاهل هذا الجانب تحديدًا. فعلى سبيل المثال، يواجه الأطفال عند الرُّحَّل صعوبة في التعامل السليم مع الأعداد، ولذلك عُدَّ التأثير الثقافي عنصرًا مهمًّا في التطوّر المعرفي. وبالتالي، تختلف المراحل المعرفية لدى الأطفال من مجتمع

لآخر؛ فقد يصل الأطفال في مجتمع ما إلى مرحلة العمليات التجريدية، بينما يبقى أطفال في مجتمعات أخرى في مرحلة العمليات الملموسة. إضافةً إلى ذلك، قلّل بياجيه من شأن تأثير الأسرة والتفاعل بين الأقران في التطوّر المعرفي. فالأطفال يتأثرون بأسرهم، وبأقرانهم عن طريق التواصل والتفاعل الدائمين، وهذا التواصل يمكن أن يسهم في تطوير تفكير الطفل وفهمه للعالم الخارجي. مع ذلك لم يتجاهل بياجيه التأثير الاجتماعي تمامًا. لذا يعتمد علماء النفس اليوم على السياق الثقافي لفهم تفكير الأطفال وإدراكهم. ويُعتقد أنّ بياجيه لم يكن على اطلاع عن كثب على علم الاجتماع باعتباره علمًا مستقلاً، ولهذا كانت أفكاره السوسيولوجية محدودة (Zana H. Babakr, 2019, pp. 520-521).

في هذه المرحلة نصل إلى التساؤل عن العلم الذي يستطيع دراسة الطفل والشاب، وقد يستوعب كل هذه الشروط أو مُعظمها على الأقل، والمتعلقة بالمؤثرات الذاتية (الداخلية) والموضوعية (الخارجية)، من عوامل بيولوجية وبيئية مرتبطة ومحيطة بالطفل والشاب، والتي تُساعد الباحث على دراسة علمية موثوقة.

الإجابة، نجدها عند إريك إريكسون– Erik. H. Erikson إذ دمج هذا الأخير، العوامل النفسية والاجتماعية والبيولوجية معا، واقترح نموذجا من ثمانيةَ مراحل للتطوّر النفسي الاجتماعي، تمتدّ إلى ما بعد المراحل الخمس للطفولة التي وصفها فرويد (المرحلة الفمية، الشرجية، القضيبية، الكُمُون، التناسلية) ، وتشمل ثلاث مراحل في سنّ الرشد. تتعاقب هذه المراحل تدريجيًا وفق عملية "إِبِجِينِيتِيَّة– épigénétique" (وتعني في علم النفس التغيرات التي تحدث على الجينات دونما تغير في الـ ADN)، وتعتمد كل مرحلة في ظهورها على نجاح المرحلة التي تسبقها. ويرى إريكسون، بأن القوى البيئية تمارس تأثيرا قويا على التطوّر في مراحله الأولى من النمو، إذ إنّ أي اضطراب أو خلل ما، في مرحلة ما، سيؤثّر في المراحل اللاحقة. وتسير المراحل وفق نظام بيولوجي يسمح بمرور وتداخل المراحل دون مشاكل، وهكذا تعوض كل مرحلة سابقتها، بحيث تفقد كل مرحلة مرَّتْ أهميتها لصالح المرحلة اللاحقة. ولتجنّب اضطرابات الشخصية، تبرز خصائص وتختفي أخرى (Holzman, 2025).

عدّل إريكسون نظرية فرويد للتطوّر، بحيث جعلها سلسلة من المراحل المتتابعة (ثمانية مراحل) من التفاعلات بين الدوافع وبين الضوابط الداخلية والبيئية. وتتجلّى هذه التفاعلات ضمن نمط من المواقف المتقابلة التي تتطوّر عبر تعاقب مراحل الحياة، تتجلّى فيها في كل مرة صراعات يجب حلّها لتفادي الوصول إلى "أزمات" تُعيق تطوّر الشخصية عند طرفي كل مرحلة، والتي تتمثل خاصة في الأربعة مراحل الأخيرة من الثمانية، وهي:

- مرحلة المراهقة: الهوية مقابل تشتّت الهويات
- الشباب المبكر: الألفة مقابل العزلة
- مرحلة الرشد المتوسطة: الإنتاجية مقابل الركود
- الرشد المتأخر: التكامل مقابل اليأس

ويفترض إريكسون أنّ النجاح في حلّ كلّ أزمة يُسهِم في نموّ شخصية سليمة ومتوازنة، بينما يؤدّي الفشل إلى اضطرابات ستظهر في المراحل اللاحقة (Holzman, 2025).

نجد أن إريكسون ينطلق من فكرة أساسية بنى عليها نظريته، وهي فكرة "الأزمة"، فجعل منها المحرك الأساسي الذي يجعل دورة الحياة تسير نحو الأمام، في رحلة ذات محطات، كل محطة تستوجب التوقف للتزود عندها بالوقود والمؤونة، وأثناء المرور بكل محطة ستعترض الفرد مشكلات (أزمات)، يجب حلها ليتمكن من المضي نحو وِجهته، فإن كان المحرك مضبوطا دون أعطال فإن الفرد (الطفل أو المراهق/الشاب) سيصل إلى وجهته المنشودة عابرا المحطات دون مشاكل. وإن تعرض المحرك إلى أعطال، فإن الفرد إما أنه سيتعطل عن وجهته أو أنه لن يصل إليها بتاتا.

7. الهوية كمشكلة في علم النفس الاجتماعي وعلاقتها بثنائية الشباب والفراغ:

سوف نستعرض هنا بعض الدراسات التي تطرقت للفراغ وعلاقته بتنمية الهوية أو الشعور بالاغتراب لدى الشباب، والتي نرى أنها جمعت بين متغيرات الدراسة الحالية لإثبات فرضية البحث. وبداية ننطلق من دراسة" Eric K. Layland, Brian J. Hill, and Larry J. Nelson " تحت عنوان " Freedom to explore the self: How emerging adults use leisure to develop identity ". أُجريت سنة 2018، وقد مَسَّت هذه الأخيرة 40 شابا من 18 بلدا بمعدَّل عمر = 23،14 سنة. استُخدمت فيها المقابلات النوعية لبحث دور وقت الفراغ كبيئة لبناء الهوية. وخلصت الدراسة إلى ظهور خمسة محاور لعوامل مُساهمة في بناء الهوية في وقت الفراغ لدى الشباب قبل دخولهم مرحلة الرشد، هي: (Layland et al, 2018)

- استكشاف الهوية: تكشف هذه العملية، عن تنافر معرفي بين الهوية المرغوبة والهوية المُدركة للفرد، مما يحفز تغييرات في سلوكه والتزاماته.
- بناء الهوية: تُتيح هذه العملية خلال أوقات الفراغ، فرصا لإحداث تغييرات في الهوية من خلال التعرض لمؤثرات خارجية جديدة، كالتجارب والأفكار والأشخاص الجدد.
- تعريف الهوية: يُمكن وقت الفراغ من تعريف الهوية من خلال مقارنة الفروق بين الأفراد والتصنيفات التي يُنشئها. والتصنيف داخل هوية ما يجعل من الفرد يلتزم بتلك الهوية ويدافع عنها ويتبناها، كما تمكنه من إيصال رسالة عن نفسه للآخرين.
- تَمَوْقُع الهوية: وقت الفراغ يُتيح إقامة شبكة علاقات اجتماعية تُمكن الفرد من التموقع ضمن هوية يتم تحديدها وفق التوافقات مع الآخرين الذين يُشاركهم نفس الاهتمامات.
- تفويت الفرص: إن عامل حرية الاختيار الذي يُتيحه وقت الفراغ للفرد الشاب، يُمكنه من تفويت فرصة خوض تجارب جديدة من خلال القيام بنشاط جديد في وقت الفراغ، لأنه مكتف وملتزم بهويته، وبالتالي لا يريد استكشاف آفاق أخرى ولا يُجبذ التغيير إلا في حالة الملل من الرتابة (الروتين).

إذا فالدراسة خلصت كذلك إلى أن وقت الفراغ هو استكشاف فضاءات متنوعة يتفاعل فيها الشباب مع هوياتهم خلال تطورها كلما تعرضوا لتجارب وعلاقات جديدة، وما سيترتب عنها من التزامات. هذه الفضاءات، الخالية من الالتزامات، تتيح تطوير الهوية بشكل مستقل. ولكي يزدهر الشباب، ينبغي مراعاة جميع الظروف والسياقات، التي تُصاحبهم في تجاربهم المعيشية، من بينها وقت الفراغ.

العديد من الدراسات أثبتت أهمية وقت الفراغ في تحييد الشعور بالاغتراب لدى الشباب، خصوصا أولئك ذوي الخلفيات الاجتماعية المحرومة اقتصاديا. وفي دراسة " Katarina Bälter, Julia Johansson, Sara Karvonen Sheikh & Camilla Eriksson " تحت عنوان " Making leisure time meaningful for adolescents: an interview study from Sweden " أُجريت سنة 2023، أكدت على أن تحقيق أوقات فراغ هادفة للشباب المراهقين، يمر عبر ضرورة توفير الأنشطة والهياكل والوسائل، وتعزيز إمكانية الوصول إليها وتيسيرها على الأسر ذات الوضع الاجتماعي والاقتصادي المتدني، كما ينبغي أن تُقام هذه الأنشطة في أحياء هذه الأسر. فنقص الجمعيات والمؤسسات التي يمكن فيها ممارسة أنشطة أوقات الفراغ قد يؤدي إلى الشعور بالاغتراب لدى هؤلاء. لذا ينبغي اعتبار أنشطة أوقات الفراغ المنظمة استثمارًا اجتماعيًا ذا قدرة على كسر حاجز هذا الاغتراب، وتعزيز الصحة النفسية للمراهقين (K. BÄLTER ET AL., 2023).

إن الدراسات التي اعتنت بمشكلة الاقصاء والتهميش الاجتماعي والاغتراب والأنوميا "Anomie" على حد تعبير دوركايم في الأوساط الشبابية، بدأت تتجه نحو التركيز على دراسة هذه الفئة في أكثر بيئة تُمثلها من حيث النشاط (الزمن الاجتماعي) الذي يأخذ منها جُل وقتها؛ وهي بيئة "وقت الفراغ"، الذي غالبا ما يكون في الشارع ومع جماعة الرفاق. ونعني بالاغتراب والأنوميا في دراستنا هذه: – الاغتراب هو شعور بالضياع أو العزلة أو فقدان الهوية، نتيجة ظروف خارجية قاهرة وحالة من عدم تكافؤ الفرص وانعدام عدالة اجتماعية تجعل من الفرد يشعر بغربة ثقافية واجتماعية واقتصادية نحو المجتمع الذي ينتمي إليه افتراضيا. بينما الأنوميا، فتُعبّر عن غياب و/أو انهيار و/أو تفكك

المعايير والقيم الاجتماعية، أو أن الفرد يرى بأنها معايير خاطئة بالرغم من وجودها، مما يخلق فراغًا أخلاقيًا لدى المجتمع في الحالة الأولى، ورد فعل من عدم اليقين والثورة على القيم أو تحديها والخروج عن الأعراف والتقاليد لدى الأفراد في الحالة الثانية.

في دراسة كيفية نراها تُعبر عن الاغتراب والأنوميا لدى الشباب، أجريت في إنجلترا سنة 2005 لـ " Robert MacDonald and Tracy Shildrick" تحت عنوان " Street Corner Society: Leisure careers, youth (sub)culture and social exclusion ". حاولت لفت انتباه الباحثين في مجال دراسات الشباب، المنقسمين على نوعين من الدراسات؛ "الدراسات الثقافية للشباب" و"الدراسات التطورية (الانتقالية) للشباب" هذه الأخيرة تعني تلك الدراسات التي تبحث عن انتقال الشباب من مرحلة عمرية إلى أخرى، ومن حالة اجتماعية إلى أخرى. قُلنا حاولت هذه الدراسة أن تملأ الفجوة البحثية بين هذين النوعين من الدراسات التي أغفلت ما اصطلحت عليه بـ "مسارات الوظائف الترفيهية[3]، leisure careers"، والتي تعني بها "الأنماط السائدة، من الأنشطة الترفيهية، والتواصل الاجتماعي التي يمارسها الشباب لقضاء وقت الفراغ، وكيف تتغير أو تستمر مع مرور الوقت". حيث ترى الدراسة أنه عندما تغيرت الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للشباب في بريطانيا، تغير معها الاهتمام بالدراسات الثقافية للشباب نحو دراسات تطور ونمو الشباب. هذه الأخيرة أصبحت تبحث عن مراحل نمو وتطور الشباب، وأهملت الجوانب الثقافية لبيئة الشباب كالثقافات الفرعية للشباب، بتجاهل قضايا الترفيه والهوية، وقضايا الانقسام الاجتماعي وعدم المساواة. لذا فمفهوم "المسار الوظيفي في أوقات الفراغ" الذي تقترحه هذه الدراسة، كمفهوم يسمح بفهم وتفسير التحولات التي يمر بها الشباب المستبعدون (المهمّشون). بحيث تُركز على مساراتهم الترفيهية داخل نظامهم البيئي الخاص (مجتمع الشوارع) كبيئة تسمح بظهور العديد من المسارات (النشاطات) حتى الإجرامية منها. اعتمدت الدراسة خمس مسارات رئيسة هي: – "مسار المدرسة إلى العمل"، أين يتحقق الاستقلال النسبي عن الأسرة. – "مسار الأسرة"، حيث يبقى الشاب مُرتبطا بأسرته إلى غاية الاستقلال بسكنه الخاص. – "مسار السكن" حيث الابتعاد عن منزل الوالدين وتحقيق الاستقلال الكامل. – "المسارات الإجرامية". – و"مسارات تعاطي المخدرات" والتي قد تُصبح، في بعض السياقات، ذات أهمية في تشكيل الطبيعة العامة لانتقالات وتطور الشباب، لأنها مسارات ملازمة لشباب "مجتمع الشوارع" كما وصفته الدراسة. ثم جاء المسار السادس وهو "مسار الترفيه" (ترفيه من نوع خاص، تسكع في الشوارع، لقاء الأقران، تعاطي الممنوعات، والسرقة...إلخ) لأنه ملازم لوقت الفراغ، والذي ظهرت أهميته أثناء العمل الميداني للدراسة، حيث برز كعنصر مهم في تحليل تطور وانتقال الشباب من مرحلة عمرية إلى أخرى في بيئة الشارع مع جماعة الرفاق. حيث أن كل مرحلة تُعبر عن هوية وثقافة فرعية مُعينة. بدايةً الشباب من سِن 12 و13 سنة يستغلون أوقات فراغهم في شرب الكحوليات في الحي (زاوية الشارع)[4]، لأنهم لا يجدون أين يُرفِّهُون عن أنفسهم (أحياء فقيرة). أما الشباب في سِن 15 و16 سنة فينتقلون من التجمع بالأحياء لشرب الكحوليات إلى الذهاب إلى الحانات لأنهم في هذا السن يُمكنهم كسب بعض المال من أعمال ضرفيه أو من إعانات في إطار المساعدات الاجتماعية. وهذه الفئة إذا ما وُجدت مؤسسات شبابية تُوفر لهم نشاطات ترفيهية حيث باستطاعتهم التنقل إليها، فهم لا يذهبون إليها بحجة أنها خاصة بالأطفال، والنشاطات الموجودة بها كذلك. وهذه الفترة أي بداية من سن 15 تتميز بنهاية التعليم الالزامي وبداية التحول الجسدي والبيولوجي مما يُعطي للشباب الشعور بالاستقلالية وبأنهم أصبحوا كبارا في السن. الدراسة خلصت إلى أن وقت الفراغ والترفيه مُلازم للشباب وينتقل معهم من مرحلة عُمُرية إلى أخرى ومن مكان إلى مكان، وفي كل مرة تتعرَّض ثقافاتهم الفرعية وهوياتهم الفردية والاجتماعية للتغيير. الترفيه هو الآخر ينتقل من نمط الشارع والالتقاء بجماعة الرفاق إلى النمط التجاري كون الشباب يكسبون أموالا سواءا في مسارات العمل أو مسارات الإجرام. أما الشباب العاطلون عن العمل فهم محرمون من القدرة الشرائية اللازمة ومن التنقل إلى أماكن أخرى من المدينة، فهم محصورون في الغالب في "مجتمعات الأحياء" التي يعيشون فيها. ونتيجة لذلك، يميل "المكان" (الشارع) إلى الاحتفاظ بمكانة بارزة في حياة هؤلاء الشباب المهمشين، سواء كموقع للأنشطة الروتينية أو كمَعْلَمٍ لهوياتهم، ويصبح التسكع في الشوارع فيما بعد، وسيلة غير لائقة ثقافيًا لتمضية وقت الفراغ بلا نهاية. وتُشير وتُؤكد الدراسة كذلك، إلى أن التفاعلات الاجتماعية لشباب الأحياء المحرومة أثناء أوقات فراغهم، لا تُعبّر عن رفض للمجتمع، ولا عن إقصاء ذاتي إنما الظروف المعيشية والبيئة الاقتصادية والملل، وكذا اكتساب مكانة اجتماعية وهوية بين الأقران، هي ما يُحتِّم عليهم تبني

النشاطات –المسارات الاجرامية ومسارات الإدمان على المخدرات–. إن الأحياء الفقيرة والشباب المنتمي إليها والمحروم اقتصاديا يُنمِّي أنواعا ترفيهية عموما غير لائقة اجتماعيا وغير صحية. فهو حبيس ثقافات فرعية هي الأخرى حبيسة حدود الشوارع التي تنتمي إليها. في الأخير أكدت الدراسة، أن هناك حاجة مُلِحَّة إلى شبكة تحليلية أوسع لفهم العمليات التي تُشكل انتقالات الشباب وتطورهم فهمًا صحيحًا، وهي المسارات الوظيفية الترفيهية وشبكاتها الاجتماعية المرتبطة بها في التأثير على الشباب ومستقبلهم المعيشي والاجتماعي (MacDonald.R & Shildrick.T, 2007).

أي أنَّ وقت الفراغ كزمن اجتماعي يحتمل أنواعا عديدة من الأنشطة الترفيهية لدى الشباب، والتي قد يفهم الشباب البعض منها على أنها أنشطة تُعبر عن ذواتهم واستقلاليتهم وهوياتهم، وهي في نفس الوقت أنشطة خارج الإطار القيمي للمجتمع. هنا يجب أن تتدخل المؤسسات الاجتماعية والمجتمعية، لضبط المفاهيم وإعطاء وقت الفراغ كزمن اجتماعي حظه من الأهمية بتوفير الإمكانيات للجميع وجعله زمنا اجتماعيا تسود فيه العدالة الاجتماعية، خاصة لدى فئة الشباب. وهذا الطرح يقترب من الدراسة النظرية سنة 2018، لـ عكاك فوزية تحت عنوان " الترفيه وأوقات الفراغ لدى الشباب". أين نجد أن المجتمعات الغربية تُعَرِّف وقت الفراغ على أنَّه ذلك الوقت الذي لا يشعُرُ فيه الفرد بالاغتراب. وفي ذات الدراسة تبين أن وقت الفراغ لدى الجزائريين قد ارتفع، مِمَّا قد يضع الشباب والمؤسسات الاجتماعية المهتمة بمشاغلهم أمام تحديات كبيرة، علما أن الشباب الجزائري مع ارتفاع مدة وقت الفراغ لديه، فهو لا ينخرط في المؤسسات الترفيهية الشبابية، سواءا عن عزوف أو عن جهل بوجودها أو عن عدم فهم لدورها. لذا أصبح "الشارع" هو الملاذ المفضل لدى الشباب الجزائري، حتى أنه تحوَّل إلى مُؤسسة قائمة بذاتها وُصِفَتْ بـ "مؤسسة المؤسسات" (عكاك، 2018)، مما يستدعي التفكير جديا فيما ستقدمه "مؤسسة الشارع" لهؤلاء الشباب كبديل عن المؤسسات الترفيهية الرسمية.

وإذا ما اعتمدنا المعايير التي سبق وتطرقنا إليها أعلاه، والمحددة للزمن الاجتماعي وبالتالي النشاط الاجتماعي المهيمن في المجتمعات ولتكن ما بعد الحداثية، نجد أنَّ النظام الرأسمالي حتى وإن فقد من هيمنة الزمن الاجتماعي للعمل بانخفاض عدد ساعات العمل لصالح "وقت الفراغ" بسبب التطور التكنولوجي والحركات النقابية العمالية، وكذا اقتناع هذا النظام بأن "وقت الفراغ" هو عامل ضروري يشجع الاستهلاك والإنتاج. فإننا نجد بأن النظام الرأسمالي ومن خلال سيطرته على دواليب السلطة والاعلام، تمكن من إضعاف الأبعاد السياسية والثقافية والاجتماعية لـ "وقت الفراغ"، واستطاع أن يُسيطر حتى على التمثلات الجماعية لمفهوم "وقت الفراغ" (الوقت الحر الذي يأتي بعد الانتهاء من التزامات العمل) واختفت وتداخلت بذلك الحدود الفاصلة بين العمل و"وقت الفراغ" وأصبح هذا الأخير سلعة استهلاكية تخضع لمنطق السوق. وأيدت هذا الاتجاه العديد من الدراسات والأبحاث، منها بحث (Neslihan KAN SÖNMEZ وآخرون 2025) بعنوان " Leisure and Recreation in the Context of Philosophical Approaches" (Neslihan KAN SÖNMEZ, 2025, pp. 144-145).

إنَّ أوّل ضحايا تحول نشاط "وقت الفراغ" من أداة ترفيه وراحة من العمل أو الدراسة، إلى سلعة استهلاكية هم فئة "الشباب"، ودائما واستنادا إلى معايير جيلياني فإن الزمن الاجتماعي للعمل (نشاط العمل) هو الغالب والسائد لدى فئة الشباب والمراهقين على حساب الزمن الاجتماعي لوقت الفراغ والترفيه. وحسب العديد من الدراسات فإن الشباب وبالإضافة إلى نشاط الدراسة. فهم يقومون باستغلال أوقات فراغهم للعمل وكسب المال. وترى دراسة " Jeremy Staff, Jeylan T. Mortimer, and Christopher Uggen "، تحت عنوان " Work and leisure in adolescence"، أنَّ هذا النمط من العيش المنتشر في أوساط الشباب قد قَوَّضَ وقت الفراغ ووقت الدراسة معا، لصالح وقت العمل، ويرجع السبب إلى الخلفية الاجتماعية من حيث تدني الموارد الاقتصادية (Staff, 2004). أي أنَّ الشباب ذوو الخلفية الفقيرة يقعون تحت سيطرة المعايير الأربعة الأولى التي تُظهر هيمنة الزمن الاجتماعي للعمل على حساب الزمن الاجتماعي لوقت الفراغ حتى وإن كان المعيار الخامس (التمثلات الاجتماعية) يُشير إلى وجود مشكلة اجتماعية بخصوص العمل المأجور بالنسبة لفئة الشباب، على اعتبار أنها فئة يجب أن تتفرغ لنشاطي الدراسة والترفيه الصفي واللاَّصَفِّي المجدي والمفيد. إنَّ التمثل الاجتماعي كمعيار يحدد سيادة وهيمنة أي وقت من الأوقات الاجتماعية يُعد في نظرنا هو المعيار الأهم بين المعايير الخمسة. فالتمثلات الاجتماعية والجماعية لها من القوة المعنوية على الأفراد

كما على الجماعات، ما يجعلها تفرض منطقها عليهم. ففي دراسة حول "وقت الفراغ" و"الشباب الجزائري" لـ بلعباس سامية Belabbas Samia، تحت عنوان" A quoi renvoie la notion de temps libre chez les jeunes? "، أكد هذا الأخير بأن تَمَثُّلاَت المجتمع الجزائري لـ "وقت الفراغ" سلبية تماما، حيث يتمثله الجزائريون على أنَّه مَضْيَعَةٌ للوقت، كما يتمثّلون "الشباب" على أنهم كُسَلاء (Belabbas, 2001, p. 60).

8. خاتمة:

واضح أنَّ ثنائية الفراغ والشباب لا يمكن اختزالها في علاقة سببية بسيطة أو في تفسير أحادي البعد، بل هي تعبير عن تفاعل معقّد بين الفرد والمجتمع داخل زمن اجتماعي متحوّل. كما أنَّ الفراغ، ليس مجرد وقت فائض عن العمل، بل هو فضاء سوسيونفسي وثقافي حاسم في تشكيل الهوية، وبناء الذات، أو في إنتاج الاغتراب والانحراف، خاصة لدى فئة الشباب. قصور المقاربات السوسيولوجية أو النفسية المنفردة يستدعي تبني منظور علم النفس الاجتماعي، بوصفه علمًا وسيطًا قادرًا على الربط بين العوامل البيولوجية والنفسية والاجتماعية والثقافية. وعليه، فإن أي سياسة اجتماعية أو تربوية موجهة للشباب لا يمكن أن تكون فعَّالة ما لم تُدْرِج الفراغ ضمن تصور شامل للزمن الاجتماعي، آخذة في الاعتبار كل الأبعاد والمعايير والمؤشرات الحيوية لهذا الزمن؛ لأنه كفيل بإعطائنا معالم الوِجهة الصحيحة للتكفل بفئة الشباب عن طريق الاستغلال الأمثل لوقت فراغهم. باعتباره موردًا تنمويًا ورأسمالٍ رمزيٍّ لا يقل أهمية عن العمل أو التعليم.

لقد اتضح لدينا من خلال الأدبيات التي اعتمدنا عليها، ومن خلال الاعتماد على مقاربة منهجية تناظرية، بأن الشباب والفراغ عبارة عن ثنائية مليئة بالتناقضات والمواجهات الحتمية في حلبة الزمن الاجتماعي، مثلها مثل ثنائية الفرد والمجتمع في حلبة العلوم الاجتماعية وخصوصا علم النفس الاجتماعي. كل الثنائيات محكومة بعوامل وسيطة هي ما يُمَكِّنُ الباحث من الالمام بتفسيرها تفسيرا موضوعيا على الأقل، حتى لا نقول علميا، فالدراسات حول الشباب وحول الفراغ وحولهما معا، حملت الكثير من التناقضات في النتائج، وهذا لا يعني أنها خاطئة، وإنما يُؤكد ما ذهب إليه بوبر بأن النظرية قابلة للدحض، وما ذهب إليه كذلك العديد من الباحثين على اختلاف تخصصاتهم، منهم مارغريت ميد، بأن البيئة والسياق الاجتماعي والثقافي والاقتصادي والسياسي والمعرفي، كُلُّها تلعب دورا رئيسا في فهم وتفسير الظواهر الاجتماعية المختلفة. لذا وجب الانتباه لها واعطاءها قيمتها العلمية المستحقة، وهذا ما يفعله في نظرنا علم النفس الاجتماعي.

الهوامش:

[1] ترجمة حرة غير موجودة في النص الأصلي.

[2] ترجمة حرة.

[3] ترجمة حرة.

[4] هذه الدراسة اصطلحت على عينة الشباب محل الدراسة، بـ "مجتمع زاوية الشارع"- "Street Corner Society"، يُذكرنا هذا الوصف بوصف الشباب الجزائري بـ "الحيطيست" خلال فترة أواخر الثمانينيات وبداية التسعينيات من القرن الماضي.

قائمة المراجع:

André Vachet .(1975) .La dialectique de l'individu et de la collectivité dans la pensée de Marx : remarques pour une esquisse d'une théorie marxiste des fondements des droits et des libertés humaines) .Société de philosophie du Québec ، (المحررPhilosophiques .53–23 الصفحات ،(1)2 ،doi:https://doi.org/10.7202/203021ar

Camille Tarot .(2004) .Individu, société et individualismes-Une introduction au débat sociologique .Essaim الصفحات ، .104-85doi:10.3917/ess.012.0085

D. B & ,.Hernández-Torrano, D Maehler .(2025) .Identity development research: a systematic review of reviews .Self and Identity .942–907 الصفحات ،(24)8 ،doi:https://doi.org/10.1080/15298868.2025.2549770

Edmond Marc & Picard Dominique .(2015) .Conflit et relation .Gestalt .142-129 الصفحات ،(46) doi:https://doi.org/10.3917/gest.046.0129.

Eric K. Layland. Brian J. Hill. and Larry J. Nelson .(2018) .Freedom to explore the self: How emerging adults use leisure to develop identity .The Journal of Positive Psychology .91–78 الصفحات ، doi:https://doi.org/10.1080/17439760.2017.1374440

Eric Maigret .(2015) .Sociologie de le communication et des médias3 (الإصدار e) .(Dunod (المحرر، Paris: Armand Colin.

Fanette Recours) .décembre, 2012 .(Les jeunes d'aujourd'hui : quelle société pour demain تم الاسترداد من ? CREDOC: https://www.credoc.fr/download/pdf/Rech/C292.pdf

Fernando Díez Ruiz .(2024) .Qui était Jean Piaget, le psychologue qui croyait qu'un enfant n'est pas un adulte miniature تم الاسترداد من ?BBC News Afrique: https://www.bbc.com/afrique/articles/c4gp227ygxqo

Gabriel Moser .(2006) .Psychologies sociales. Psychologie sociale, application de la psychologie sociale et psychologie sociale appliquée .Les Cahiers Internationaux de Psychologie Sociale.95-89 الصفحات ،

Gilles Pronovost .(2007) .L'univers du temps libre et des valeurs chez les jeunes .Québec: Presses de l'Université du Québec.

Gilles Pronovost .(2014) .Sociologie du loisir, sociologie du temps .Temporalités .(20) doi:https://doi.org/10.4000/temporalites.2863

İsa ABİDOĞLU 15) .March, 2023 .(Dicotomies And Dualities In Sociology Based On The Progressive History Thesis . Mevzu: Sosyal Bilimler Dergisi .604-569 الصفحات ،doi:DOI: 10.56720/mevzu.1234575

Iso-Ahola and Baumeister 28) .February, 2023 .(Leisure and meaning in life .Frontiers in Psychology . doi:10.3389/fpsyg.2023.1074649

J., Mortimer, J. T & ,.Uggen, C. Staff .(2004) .Work and Leisure in Adolescence تأليف .Handbook of Adolescent Psychology تم الاسترداد من .http://users.soc.umn.edu/~uggen/Staff_Mortimer_Uggen_Handbook_04.pdf

Jean Cazeneuve .(1966) .La sociologie de Georges Gurvitch .Revue française de sociologie تم الاسترداد ، الصفحات 5-13. من www.persee.fr/doc/rfsoc_0035-2969_1966_num_7_1_2839

Jean-Christophe Giuliani 5) .mai, 2025 .(Temps social et dynamique des temps sociaux تم الاسترداد من .Mouvement Pour un Développement Humain: https://www.mouvementpourundeveloppementhumain.fr/temps-social-et-dynamique-des-temps-sociaux/#:~:text=En%20r%C3%A9v%C3%A9lant%20les%20activit%C3%A9s%20sociales,sociale%20et%20la%20repr%C3%A9sentation%20sociale.

Jean-Daniel Boyer .(2016) .La sociologie d'Émile Durkheim-Une transposition manquée de la méthode des sciences de la nature .Revue des sciences sociales .125-118 الصفحات ،(56)doi:https://doi.org/10.4000/revss.420

JePense.org 28) .octobre, 2019 .(Dualité et dualisme : définitions, différences تم الاسترداد من .JePense.org-A la recherche de la vérité...: https://www.jepense.org/dualite-dualisme-definition-differences/#:~:text=Le%20dualisme%20est%20l'affirmation,du%20dualisme%20est%20le%20monisme.(

Joffre Dumazedier .(1962) .Vers une civilisation du loisir .Paris: ÉDITIONS DU SEUIL.

K. BÄLTER ET AL .(2023) .Making leisure time meaningful for adolescents: an interview study from Sweden . International Journal of Qualitative Studies on Health and Well-being .*18* ،doi:10.1080/17482631.2023.2286664

Kidj O. C & .Mimoune. S .(2025) .La notion "Identité" chez Durkheim: conflit entre science et conscience . Science,Education and Innovation in the Context of Moderne Problems .337-304 الصفحات ،(3)*8* ، doi:10.56352/sei/8.3.18.

Layland et al 01) .January, 2018 .(Freedom to explore the self: How emerging adults use leisure to develop identity .J Posit Psychol .91–78 الصفحات ،(1)*13* ،doi:doi:10.1080/17439760.2017.1374440

linternaute .(بلا تاريخ) .Dictionnaire français من ،2025 ,12 22 تاريخ الاسترداد .linternaute: https://www.linternaute.fr/dictionnaire/fr/definition/dichotomie/

lumen .(بلا تاريخ) .Théorie du conflit et société 04 تاريخ الاسترداد .Janvier, 2026 من ،lumenlearning: https://courses.lumenlearning.com/wm-introductiontosociology/chapter/conflict-theory-2/

MacDonald.R & Shildrick.T .(2007) .Street Corner Society: Leisure Careers, Youth (Sub)culture and Social Exclusion . Leisure Studies .355–339 الصفحات ،(3)*26* ،doi:https://doi.org/10.1080/02614360600834826

Marc George Gurvitch In Joly .(2014) .L'antinomie individu/société dans les sciences humaines et sociales .Revue européenne des sciences sociales .223-193 الصفحات ،doi:https://doi.org/10.4000/ress.2714

Margaret Mead .(1969) .Mœurs et sexualité en Océanie) .Éditions Plon) .(Georges Chevassus و ،المترجمون ،Jean-Marie Tremblay (محول برمجي ،Paris.

Marie-Chantal Doucet .(2009) .Théories du comportement humain et configurations sociales de l'individu .Sociologie et sociétés .53–35 الصفحات ،(1)*41* ،doi:https://doi.org/10.7202/037906ar

Matea Beloševic and Martina Feric .(2022) .Contribution of Leisure Context, Motivation and Experience to the Frequency of Participation in Structured Leisure Activities among Adolescents .Int. J. Environ. Res. Public Health .doi: https://doi.org/10.3390/ijerph19020877

melchior .(2025) .Fait social تم الاسترداد من .Institu de l'entreprise Melchior: https://www.melchior.fr/notion/fait-social-0

Michaël Bourgatte .(2022) .Joffre Dumazedier, l'inspirateur: Vers une civilisation du temps libre ? NECTART ،(14) .الصفحات 44 - 51doi:https://doi.org/10.3917/nect.014.0044.

Moula Bux Naich) .January-March, 2022 .(Sociology and Social Psychology: A Comparative Study .Pakistan Social Sciences Review .196-188 الصفحات ،(1)*6* ،doi:http://doi.org/10.35484/pssr.2022(6-I)15

Olivier Galland .(2022) .Sociologie de la jeunesse7 (الإصدار e .(Malakoff: Armand Colin.

. (2025). *الشباب*. تاريخ الاسترداد 14 ديسمبر, 2025، من الأمم المتحدة-السلام والكرامة والمساواة على كوكب ينعم بالصحة: ONU https://www.un.org/ar/global-issues/youth

Onur ERASLAN, İsmail BİLGİÇLİ, Muhammed Çağrı MURAT, Emre ÇİLESİZ Neslihan KAN SÖNMEZ .(2025) . Leisure and Recreation in the Context of Philosophical Approaches .GRADIVA REVIEW JOURNAL .تم (7)*11* ، الاسترداد منhttps://gradivareview.com/wp-content/uploads/2025/07/21.GRJ8323.pdf

Pakstan Mohamedamin, Karwan Kakamad Zana H. Babakr .(2019) .Piaget's Cognitive Developmental Theory: Critical Review .Education Quarterly Reviews .524-517 ،doi:DOI: 10.31014/aior.1993.02.03.84

Patrick Juignet .(2015) .Karl Popper et les critères de la scientificité من الاسترداد تم .Philosophie, science et société: https://philosciences.com/karl-popper-et-les-criteres-de-la-scientificite

Philip S. Holzman .(2025) .Théories psychanalytiques من الاسترداد تم .britannica: https://www.britannica.com/topic/personality/Psychoanalytic-theories

Philippe Besnard, Mohamed Cherkaoui, Bernard-Pierre Lécuyer Raymond Boudon .(2005) .Dictionnaire de Sociologie . Paris: LAROUSSE.

Piaget Fondation .(2025) .James Mark Baldwin (1861-1934). Psychologue et philosophe américain من الاسترداد تم . Fondation Jean Piage: https://www.fondationjeanpiaget.ch/fjp/site/presentation/index_auteur.php?auteurID=9

Pierre Bourdieu .(1978) .La jeunesse n'est qu'un mot .Questions de sociologie) .530-520 ،Anne Marie Métailié ، (المحاورParis: Association des Ages من الاسترداد تم . https://www.psychaanalyse.com/pdf/BOURDIEU_LA_JEUNESSE_N_EST_QU_UN_MOT_7_PAGES.pdf

Roger Sue .(1993) .La sociologie des temps sociaux : une voie de recherche en éducation .Revue française de pédagogie ، الصفحات 61-72. ،*104*doi:https://doi.org/10.3406/rfp.1993.1289

Roger Sue .(1994) .Du temps social aux temps sociaux تأليف .Roger Sue ،Temps et ordre social. Sociologie des temps sociaux .(الصفحات 28-32) Paris: PUF من الاسترداد تم .https://www.rhuthmos.eu/spip.php?article1074

Romain Roult 5) .avril .(2018 , L'ACCESSIBILITÉ AU LOISIR: VECTEUR D'ACCUEIL ET D'INTÉGRATION EN CONTEXTE INTERCULTUREL .LE LOISIR, UN CONCEPT LARGE AUX DIMENSIONS MULTIPLES . Montréal ،Québec: La Maisonnée et le Conseil québécois du loisir من الاسترداد تم .https://lamaisonnee.org/wp-content/uploads/2023/05/Accessibilite-loisir_FIN.pdf

Samia, Sous la direction de Slimane MEDHAR Belabbas .(2001) .A quoi renvoie la notion de temps libre chez les jeunes ?Magistère en Psychologie sociale .Algerie: Université d'Alger من الاسترداد تم .http://biblio.univ-alger.dz/jspui/bitstream/1635/16512/1/HASNAOUI_SAMIA.pdf.pdf#:~:text=Comme%20tous%20les%20faits%20sociaux%2C%20le%20loisir,qui%20%C3%A9manent%20des%20organismes%20de%20base%20de

Serge Tcherkézoff .(1997) .Margaret Mead et la sexualité à Samoa .Enquête .doi:DOI : https://doi.org/10.4000/enquete.1203

Siegfried L. Mathelet .(2011) .Perception et Normes Sociales:une alternative à l'intellectualsme contemporain .These de doctorat) .UNIVERSITÉ CATHOLIQUE DE LOUVAIN et UNIVERSITÉ DU QUÉBEC À MONTRÉAL تم (المحرر ، الاسترداد منhttps://archipel.uqam.ca/4440/1/D2277.pdf

Simeon Goldstraw .(2024) .Marx on Leisure: An Aristotelian Interpretation .Canadian Journal of Political Science ، الصفحات 325–343. doi:doi:10.1017/S0008423924000118

Simon Laflamme .(2016) .La notion d'identité dans les sciences sociales en Ontario .Cahiers Charlevoix .112–73 ،*11* ، doi:https://doi.org/10.7202/1039283ar

social sciences libretexts .(بلا تاريخ). Durkheim and Social Integration من 2026، 06 01, تاريخ الاسترداد social sciences. libretexts: https://socialsci.libretexts.org/Bookshelves/Sociology/Introduction_to_Sociology/Sociology_(Boundless)/01%3A_Sociology/1.02%3A_The_History_of_Sociology/1.2F%3A_Durkheim_and_Social_Integration#:~:text=not%20just%20animals.-,Formation%20of%20Collective%20Co

Sylvie Octobre .(2014) .Deux pouces et des neurones-Les cultures juvéniles de l'ère médiatique à l'ère numérique تم الاسترداد من https://www.culture.gouv.fr/content/download/98224/file/QdC_2014_Deux%20pouces%20et%20des%20neurones_intro.pdf?inLanguage=fre-FR

UNIVERSALIS .(2025) .FAIT SOCIAL تم الاسترداد من Encyclopædia Universalis : https://www.universalis.fr/encyclopedie/fait-social/

Wolfgang Schluchter traduit par Isabelle Kalinowski .(2013) .Le dualisme de la nature humaine et ses conditions Le dualisme de la nature humaine et ses conditions) .Les éditions de la Maison des sciences de l'Homme (المحرر، Trivium . تم الاسترداد من http://journals.openedition.org/trivium/4441

صالح غدي. (2021). *في دراسة علم نفس للشباب*. تم الاسترداد من النداء: https://www.al-nidaa.com/more/issue-theme/item/31962-2021-11-26-08-47-30

فوزية عكاك. (2018). الترفيه وأوقات الفراغ لدى الشباب. *مجلة المربي، 21*(1)، الصفحات 101 - 69. تم الاسترداد من https://asjp.cerist.dz/en/article/78181

محمد علا. (2018). *الثنائيّات في القرآن الكريم وجوانب التكامل والتدافع*. تم الاسترداد من مركز دراسات المعرفة والحضارة: https://maarifa-center.com/wp-content/uploads/2020/10/%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%86%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D8%A7%D8%AA-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B1%D8%A2%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%B1%D9%8A%D9%85-%D9%88%D8%AC%D9%88%D8%A7%D9%86%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%

يحي سعد. (2021). *نظرية النمو المعرفي لبياجيه أسس النظرية وتطبيقاتها*. تم الاسترداد من دراسة: https://drasah.com/Description.aspx?id=4650